د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية الأولى: حذار من حماوة الرأس!

خطابي هذا موجّه إلى السادة ساسة غربي كردستان خاصة، ولعل فيه فائدة للسادة ساسة الكرد عامة، والحقيقة أني لست راضياً عن استعمال كلمة (وصايا)، لكن لم أجد أنسب منها، فالبديلان (نصائح) و(إرشادات) يحملان دلالات فوقية أيضاً، وهذا ما لا نريده، وإنما الغرض هو أن نفكر مع ساستنا في هذه المرحلة الخطرة جداً من تاريخ أمتنا، وقد دفعتني بعض المواقف والظاهرات المثيرة للانتباه في الأشهر الأخيرة إلى كتابة هذه الوصايا، وآمل أن يكون صبر الإخوة الساسة عليّ طويلاً.

ولا يغيب عنا- ونحن نكتب هذه الوصايا- أن أنظمة الاحتلال التي تسلّطت على الكرد طوال قرون، همّشتهم في جميع المجالات، وخاصة في المجال السياسي داخلياً وإقليمياً وعالمياً، وكانت النتيجة افتقارهم إلى بعض المهارات في التعامل مع الأحداث السياسية، سواء داخل البيت الكردي نفسه أم في التعامل مع الأصدقاء والخصوم، ونعتقد أن هذه الحال مؤقتة، وسيصبح ساستنا، عبر تعاملهم مع الأحداث، أكثر خبرة وأصلب عوداً وأغنى تجربة في مجال العلاقات السياسية، ودعونا نبدأ بالوصية الأولى.

حذار من حماوة الرأس!

أجل، فحماوة الرأس واحدة من الخصائص المتأصلة في الشخصية الكردية، إن الكردي يثور بشكل مفاجئ عندما يحس أن أحداً يستغفله، أو ينتقصه، أو يتلاعب به، أو لا يتعامل معه بتهذيب، وعندما يثور يفقد السيطرة على نفسه وعلى خطابه، ويتحوّل من شخص هادئ إلى عاصفة هوجاء، وفي الغالب يتصرف بقدر كبير من الارتجال، ويصل به الغضب أحياناً إلى درجة الفظاظة كرد فعل.

إن حماوة الرأس في المواقف التفاوضية، والتصرف بردود أفعال غير محسوبة، وبسلوكيات فيها قدر من الفظاظة وفلتان اللسان، يؤدّي إلى أن المتفاوض يقول ما كان ينبغي أن يتكتّم عليه، ويخرج على قاعدة التزام الأولويات، وقاعدة تحويل الخصم إلى صديق أو متعاطف أو محايد، ويخسر معظم أوراقه، وهذا ما يريده الخصم السياسي، وقد كتبنا ذات مرة أن الكردي يخسر على طاولة المفاوضات ما يكسبه في ميادين القتال.

ونذكّر السياسي الكردي بما قاله السياسي الإيطالي نيقولا مكيافيللي موجّهاً، خطابه إلى رجل السياسة متمثّلاً في شخص (الأمير): "**وعلى الأمير أن يكون حريصاً على ألاّ يَفضح نفسه بأقواله، ... لأنّ الناس عموماً يحكمون بعيونهم أكثر من أيديهم، ولأن في وُسع كل إنسان أن يرى، بينما لا يشعر به إلا القليلون، فجميع الناس يرون ما تعمل، وكيف تبدو لهم، أما القلة فيحسّون حقيقتك**". (الأمير، ص 150).

ونتمنّى أن يكون السياسي الكردي قادراً على أن يكون (داهية) بالمعنى السياسي للدهاء، وهي الحِنكة، والبراعة في المناورة، وشنّ حملات محدودة على الخصم واحدة تلو أخرى لزحزحته عن موقفه بالتدريج،

وامتصاص الأقوال والسلوكيات العنيفة التي يصبّها الخصم عليه، وعدم الانجرار إلى المواقع التي يريد الخصم أن يجرها إليه، تلك المواقع التي يكون الخصم فيها هو الأقوى، وهو الأقدر على تمرير شروطه.

حقاً ينبغي أن يكون السياسي الكردي ضابطاً لنفسه، متحكّماً في أقواله وتصرفاته، يشن الهجوم بالتدريج حينما تكون الفرصة مواتية، ويتراجع بسلاسة حينما تكون المعركة خاسرة، وخاصة في هذا العصر الذي تسجّل فيه وسائل الإعلام صوتاً وصورة كل حركة وسكنة، وتوظّفها بعدئذ لأغراضها الخاصة تمجيداً أو تشويهاً.

ونذكّر السياسي الكردي في موضوع الحنكة والدهاء بقول نيقولا مكيافيللي: " **وعلى الأمير ... أن يقلّد الثعلب والأسد معاً؛ إذ إن الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الأشراك، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب؛ ولذا يتحتّم عليه أن يكون ثعلباً ليميّز الفِخاخ، وأسداً ليُرهب الذئاب، وكلُّ من يرغب في أن يكون مجرد أسد ليس إلاّ لا يفهم هذا**". (الأمير، ص 148).

ولله درّ صلاح الدين الأيوبي في هذا المجال قبل أن يكون سلطاناً، وبعد أن أصبح سلطاناً، وإليكم هذا المثال: كان الفرنج (الصليبيون) يهدّدون مصر، فطلب الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله المساعدةَ من السلطان التركماني نور الدين زَنكي في دمشق، فأرسل إليه ثلاث مرات جيشاً بقيادة القائد الكردي شَيركُوه بن شادي، وكان شَيركُوه يستصحب معه كل مرة ابن أخيه صلاح الدين بن أيوب (نجم الدين)، وفي المرة الثالثة توفّي شَيركُوه في مصر، وأصبح صلاح الدين قائد الجيش الشامي، واتخذه الخليفة الفاطمي وزيراً له، وكان صلاح الدين ذكياً حصيفاً متواضعاً، وأزال كثيراً من أشكال الظلم والقهر عن كاهل الشعب المصري، فأحبّه الخليفة وأحبّه المصريون.

والحقيقة أن القوة القتالية في جيش السلطان نور الدين كانت تتألف بصورة أساسية من المقاتلين التركمان والمقاتلين الكرد، وكانت المنافسة بين الفريقين شديدة، وقد نقل الضباط التركمان الذين كانوا مع صلاح الدين إلى السلطان نور الدين حبَّ الخليفة العاضد والشعب المصري لصلاح الدين، وحذّروه من إمكانية أن يستقل صلاح الدين عنه مستقبلاً، ويقيم سلطة كردية هناك، ونصحوه بأن يعزله عن قيادة الجيش الشامي.

وأخذ السلطان نور الدين بنصيحة أولئك القادة، وقرر التخلص من صلاح الدين، وشرع يوجّه إليه المضايقات، ويستفزّه مرة تلو أخرى، ويعمل لاستدراجه إلى التمرد عليه، كي يعزله ويعاقبه ويقضي عليه، لكن صلاح الدين كان متنبّهاً إلى ما يُدبَّر له، ضابطاً لنفسه، غير متهوّر، ولم يمكّن السلطان من نفسه، وقد ذكر هو نفسه محنته مع مضايقات نور الدين قائلاً:

" **والله لقد صبرتُ منه على حَزّ المُدى وخَزّ الإبر، ... وما قدِر أحدٌ من أصحابه أن يجد عليّ ما يَعتدُّه ذنْباً، ولقد اجتهد هو نفسه أيضاً أن يجد لي هفوة ويَعتدّها عليّ فلم يقدر، ولقد كان يعتمد في مخاطباتي ومراسلتي الأشياء التي لا يُصبَر على مثلها، لعلي أتضرّر أو أتغيّر، فيكون ذلك وسيلة إلى منابذتي، فما أبلغته أرَبه يومًا قطّ** " (أبو شامة: عيون الروضتَين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 442/1).

فحبّذا أن ينهج ساستنا اليوم نهج صلاح الدين في ضبط النفس، والتعامل مع الأمور بأعصاب هادئة ونفَس طويل وصبر كصبر النبي أيوب، فلا بد أن يتعرضوا إلى مواقف هي اشدّ من وخز الإبر وحزّ المُدى، وحبذا أن يتركوا خصلة حماوة الرأس وسرعة الفوَران وشدّة الثوَران جانباً، وأن تكون تصرفاتهم وكلماتهم محسوبة بدقة في المواقف التفاوضية، وأيضاً في ميادين عرض القضية الكردية أمام الرأي العام.

وإلى اللقاء في الوصية الثانية.

2012 - 7 – 17

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية الثانية: حذار من اللاواقعية السياسية!

كتب مارك فِيرو متحدثاً عن الغزو الأوربي لبعض القبائل البدائية: **"عندما رأى الأبوريجين للمرة الأولى رجلاً أبيض يمتطي حصاناً، ظنوا أنهما يشكلان معاً كائناً واحداً، ولم يكتشفوا خطأهم إلا عندما ترجّل الرجل مِن على الحصان"**. [مارك فِيرو: الاستعمار، ص 84]. تلك هي حال السياسي المنفصل عن الواقع، إذ تختلط عليه الأمور، ويعجز عن تمييز الواقع من الوهم، ولتفصيل البحث في هذا المجال، دعونا نستعرض أسس الواقعية السياسية.

أسس الواقعية السياسية:

لقد قيل: السياسة هي **"عِلم حُكم الدول،... ومعرفة كل ما له علاقة بفنّ حُكم الدولة وإدارة علاقاتها مع الدول الأخرى"**. [موريس دوفرجيه: علم اجتماع السياسة، ص 19]. وقيل أيضاً: **"السياسة هي عِلم العلاقات بين الناس"**. [ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، ص 462]. ويستفاد من هذين التعريفين أن (السياسة) تتكون من ثلاثة أسس متداخلة متفاعلة:

1 - **السياسة (علم):** أيْ هي معرفة ونظريات وقواعد ومعلومات، وهذا يعني ضمناً أن السياسة ليست ارتجالاً، ولا حقلاً للتجارب الاعتباطية، ولا جرياً خلف الأهواء، ولا وقوعاً تحت سلطة الغرائز، ويعني أيضاً أن كل قول سياسي، أو سلوك سياسي، أو بناء علاقة سياسية، أو عقد تحالف سياسي، أو الدخول في معركة سياسية، لا يتأسس على العلم والمعرفة والقواعد والمعلومات، يندرج- شئنا أم أبينا- في خانة الخرافات والأساطير، ومتى كانت الخرافة تحقق مكاسب قومية ووطنية؟

2 - **السياسة (حُكم):** أيْ هي ممارسة وخبرة، وفعلٌ وتفاعل، وتعاملٌ مع الإيجابيات والسلبيات، وأخذٌ وعطاء، وربحٌ وخسارة، ونجاحٌ وفشل، إنه تعديلٌ وتغيير في الواقع، وليست غرقاً في التنظير، ولا تخبّطاً في الفراغ، ولا انفصالاً عن الواقع، ولا أحلاماً، إن ما جاء في **"جمهورية أفلاطون"** المثالية جداً لم تتحول إلى واقع، ولا كذلك ما جاء في **"مدينة الله"** للقدّيس أوغسطين، وما جاء في **"المدينة الفاضلة"** للفارابي؛ إنها بقيت مجرد تنظيرات مدفونة في طيّات الكتب.

3 – **السياسة (هدف):** أيْ أنها ليست فعلاً عبثياً، إنها تهدف إلى الدفاع عن مصالح الأفراد والشعوب، وتنظيم العلاقات على محورين: تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات ضمن شعب /وطن واحد، وتنظيم العلاقات سلماً وحرباً بين شعوب/ دول متنوّعة، وكيف يمكن الدفاع عن المصالح وتنظيم العلاقات داخلياً وخارجياً، في غياب العقل والانفصال عن الواقع؟

وقد قلنا سابقاً: إن تآمر أنظمة الاحتلال على الشعب الكردي قروناً طويلة، وتغييبه عن التفاعل سياسياً وثقافياً وحضارياً، أدّى إلى تعميم الجهل في المجتمع الكردي، لكن عشق الكرد للحرية المتوقد دائماً كنار أهورامزدا المقدسة، دفعهم إلى الثورة، فخاضوا ميادين الثورات والسياسة وهم مثقلون بتركة الجهل الناجم عن عصور الاحتلالات، واضطروا إلى ارتجال كثير من المواقف السياسة، والعجز عن التعامل بقدر كاف من الواقعية داخلياً وإقليمياً ودولياً، وكان الفشل متكرراً، وكانت الكوارث هائلة.

تلك كانت الحال سابقاً، لكن الآن، وبعد أن تخرّج عدد لا بأس به من شعبنا في الجامعات، وأجاد كثيرون اللغات الأجنبية، وأصبح العلم متاحاً لمن يرغب فيه، بفضل تكنولوجيا المعلومات الحديثة، فما المبرر لأن يظل السياسي الكردي في دائرة الارتجال؟ ما الذي يمنعه من الاستعانة بأهل العلم والخبرة؟ وما الذي يمنعه من تطوير معلوماته ومعرفته السياسة؟ وما الذي يمنعه من التحرر من الفكر الريفي القبلي الرعوي، وإحلال الفكر العلمي محلّه؟ أليس الفكر العلمي هو مفتاح الواقعية السياسية؟

سمات الواقعية السياسية:

إضافة إلى ما سبق، ثمة ستّ سمات مهمة وثيقة الصلة بالواقعية السياسية، وهي التالية:

1 - تمييز الممكن من المستحيل: لقد قيل: **"السياسة فنّ الممكن"** [نورتون فريش، ريتشارد ستيفنز: الفكر السياسي الأمريكي، ص 8]، وهذا يعني أن السياسي الواقعي ذكّي بما فيه الكفاية، فلا يخلط بين الممكن والمستحيل، ولا يقع في فخّ الديماغوجية، ولا يلهث خلف الخطابات الحماسية وإطلاق الوعود الخلابة، ليستجدي تصفيق الجماهير، وليقودهم بعد مدة قصيرة أو طويلة إلى الكوارث.

2 - التدقيق في التفاصيل: قال كونفوشيوس ذات مرة: **"إذا لم يكن من عادة الشخص أن يقول: ماذا أرى في هذا؟ فإني لا أستطيع أن أفعل له شيئاً"**. [ول ديورانت: قصة الحضارة، 41/4]، والسياسي الذي لا يضع نفسه معظم الأحيان في مواجهة السؤال (ما هذا؟)، ماذا تعني هذه الكلمة وهذه الجملة؟ ماذا يعني هذا السلوك وهذا الموقف؟ ويترك الأمور تمر تحت سمعه وبصره وعقله دون تدقيق، سيحقق أرقاماً قياسية في ارتكاب الأخطاء السياسية، وسيجرّ شعبه ووطنه إلى دفع المهالك.

3 - حساب الربح والخسارة: قيل: السياسة هي **"إزالة أكبر قدر ممكن من الشر بإحداث أقلّ قدر ممكن من العداء"**. [نورتون فريش، ريتشارد ستيفنز: الفكر السياسي الأمريكي، ص 8]، وهذا يعني أن السياسي الواقعي لا يكون هاوي حروب، ولا باحثاً عن البطولات الشخصية والأمجاد الجوفاء على حساب شعبه ووطنه، إن حسّه الواقعي يجعله على بصيرة تامة بقيمة كل كلمة أو سلوك أو موقف سياسي يتخذه، ويسأل نفسه: كم يربح شعبي وكم يخسر إذا قلت كذا أو فعلت كذا؟

4 - تحديد العدوّ: قال السياسي الألماني كارل شميث: **"السياسة هي قبل كل شيء تحديد العدوّ"**. [إريك لوران: حرب آل بوش، ص 19]، وتحديد العدوّ بحاجة إلى قدر كبير من الواقعية، فالساسة الجهلة والأغبياء والحمقى هم الذين يسرعون إلى الخلط بين الصديق والعدوّ، وبين العدوّ المؤقت الأقل ضرراً والعدوّ الاستراتيجي الأكثر ضرراً، وبين العدوّ الذي يمكن تحويله إلى حليف والعدوّ الذي لا يتزحزح عن عدائه، ولا شك في أن أكثر الساسة جهلاً وغباء وحماقة هم الذي يحوّلون الأصدقاء إلى أعداء.

5 – تحديد المشكلات: قال مَكْنَمارا، وهو وزير دفاع أمريكي سابق: **" حدِّد المشكلة تحصلْ على الحل"** [إريك لوران: حرب آل بوش، ص 115]، وهذه واحدة من أهم لوازم الواقعية السياسية، فالسياسي في الأصل هو رجل درْء المشكلات من جانب، وحلّ المشكلات من جانب، فكيف يكون موفّقاً في هذا وذاك إذا كان غير قادر على تحديد المشكلة ومصدرها وحجمها وخطورتها؟

6 - ترتيب الأولويات: من الطبيعي أن يجد السياسي أمامه مجموعة أهداف مطلوب منه تحقيقُها، فعليه أن يتفحّصها، ويميّز الممكن منها من المستحيل، ثم يعيد ترتيبها من حيث أولوية التنفيذ، آخذاً الظروفَ الذاتية والموضوعية بالحسبان، لا بل عليه أن يهيّئ الظروف والشروط المساعدة على تحقيق الهدف، إن سياسياً لا يجيد ترتيب الأولويات، ويضع العربة أمام الحصان، هو بلاء على شعبه.

كان بودّنا أن نقدّم أمثلة توضيحية لكل محور من المحاور السابقة، لكنا تجنّبنا ذلك خوفَ الإطالة، ولثقتنا بقدرة القارئ الكردي عامة، والسياسي الكردي خاصة، على استحضار أكثر من مثال لكل محور، سواء من تاريخنا القديم أم من تاريخنا الحديث، بل ومن وضعنا السياسي الراهن أيضاً.

وإلى اللقاء في الوصية الثالثة.

2012 - 7 – 20

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية الثالثة

حذار من تغليب الأجندات الحزبية على الأجندة القومية!

تقول أغنية فولكلورية أمريكية:
"بسبب مسمارٍ سَقَط نَعل.
وبسبب نعلٍ تعثّرَ حصان.
وبسبب حصانٍ سقطَ فارس.
وبسبب فارسٍ خُسرتْ معركة.
وبسبب معركةٍ فُقدتْ مملكة". (جايمس غليك: نظرية الفوضى، ص 39).

وفي ميدان السياسة هذه هي اللاواقعية، وهذا هو الخلط في ترتيب الأولويات، وهذه هي الانتهازية، وهذا هو العجز عن إدراك العلاقة العضوية بين الأجندة الحزبية والأجندة القومية، ولتوضيح هذه العلاقة ينبغي الأخذ في الحسبان أن للسياسة غايتين: صيانة مصالح أفراد الأمة داخلياً، وصيانة مصالح الأمة خارجياً مع الأمم الأخرى. ولا يخفى أن الأمم في عالمنا المعاصر بشكل عام نوعان:

- **أمم مستقلة:** لها موقعها على خريطة العالم السياسية، وحكومتها التي تنظّم شؤونها داخلياً، وتصون مصالحها دولياً، ولها كرسيها في هيئة الأمم. إن الأحزاب في أمم كهذه تتنافس لتقديم مشاريع سياسية، ترى أنها الأجدى لصيانة مصالح الأفراد داخلياً، وصيانة مصالح الأمة خارجياً، وتدور الأحزاب جميعها في فلك الأجندة القومية/الوطنية، وعلى أساسها تقام الانتخابات وتتشكل الحكومات، وحتّى إذا شذّ حزب ما في الانتهازية السياسية، فإن ضرره يظل محدوداً، وتبقى الأمة متماسكة ومحتفظة بكيانها.

– **أمم مستعمَرة:** أرضها محتلة، لا موقع لها على خريطة العالم السياسية، ولا حكومة خاصة بها، ولا كرسي لها في هيئة الأمم، وهي تتعرض للقهر والصهر، ويضع المحتل الخطط لتجهيلها معرفياً، وتفريغ ذاكرتها تاريخياً، وتفقيرها اقتصادياً، وتمييعها أخلاقياً، وتفتيتها اجتماعياً، تمهيداً لرميها خارج التاريخ وإلى الأبد. والأمة الكردية مثال لهذا النمط، وفي حال أمة كهذه لا جدوى في التشظّي الحزبي، وإنما يكون الخلاص بوجود إطار مرجعي سياسي قومي موحَّد وموحِّد، يصون الأمة من الاندثار.

إن الإطار المرجعي هو أجندة قومية شاملة، ينتظم فيها ساسة الأمة بمختلف انتماءاتهم الدينية والمذهبية والقبَلية والطبقية والمناطقية، ويمكن أن يختلفوا في الفروع، لكنهم يجتمعون على الأصول، ويعملون لهدف قومي واحد، ويدورون في فلك مشروع قومي واحد يتلخص في عبارتين (تحرير الوطن، وإقامة الدولة المستقلة)، مع ضرورة عدم الانفصال عن الواقع، وعدم إدارة الظهر للشروط والظروف الداخلية والخارجية، وعدم التوهم بأن هدفاً كبيراً كهذا يمكن تحقيقه بكبسة زرّ.

وتعالوا الآن نتساءل: ما حال الأجندة الكردية السياسية القومية؟

يقول شاعر أوربي: **"أحلم بالهرب ولكن، تتملّكني همسات داخلية"** (جدسون جيروم: دليل الشاعر، ص 3)، ويؤلمني أن أقول: كان بودّي أن أتهرّب من الإجابة عن هذا السؤال، بل لا أخفي أنني أتهرّب من سؤال آخر يطاردني بعناد، وهو: هل ثمة أجندة كردية سياسية قومية؟ لكن مقولة النُّفَّري- ذلك المفكّر العظيم، ابن مدينة (نِيبُور) السومرية: **""أوقفني وراء الموقف، وقال لي: الكونُ موقف"** (النُّفَّري: المخاطبات ص 63)، تنتصب أمامي، وتمسكني من خناقي، ولا أجد بُدّاً من الإجابة.

فمنذ ثورة الشهيد شيخ سعيد سنة (1925)، وإلى آخر شهيد ربما يكون قد سقط في الزنازين أو في ساحات الكفاح وأنا أكتب هذه الكلمات، ومع كل هذا العدد الكبير من الأحزاب، ومع جهود كل القيادات- مع احترامي الجمّ والعميق لهم كأفراد- ومع كل هذا الكمّ الهائل من الشعارات، والنشرات، والمؤتمرات، والاجتماعات، والبيانات، والنضالات، والانهزامات وهي كثيرة، والانتصارات وهي قليلة، هل كانت توجد أجندة سياسية كردستانية موحّدة؟ وهل هي موجود الآن؟

لو كانت ثمة أجندة سياسية كردستانية موحَّدة، هل كانت ثورة (1925) تقع ضحية الصراعات القَبَلية من جانب، والصراعات الطائفية بين الكرد السُنّة والكرد العلويين من جانب آخر؟ هل كانت الأحزاب الكردستانية تتقاتل فيما بينها لتحقيق مكاسب حزبية؟ هل كانت أهم الإدارات في كردستان الجنوبية تبقى منفصلة طوال عشرين عاماً؟ هل كان الكرد يبقون منقسمين بين الولاء لهذا (السروك) ولذاك (السروك)؟ هل كان الكرد يبقون عاجزين إلى الآن عن التخاطب بلغة واحدة والكتابة بخط واحد؟ هل كان الكرد يظلون منقسمين إلى الآن بين حمل راية قومية من شكل وراية قومية من شكل آخر؟

ودعونا نضيّق الدائرة، ونركز على غربي كردستان، فلو كانت ثمة أجندة قومية موحَّدة، هل كان يتوالد بين ثلاثة ملايين كردي حوالي عشرين حزباً وحركة سياسية متصارعة، وما يزال التشظّي قائماً؟ أليس المنطق القومي يتطلب أن تكون ثمة جبهة قومية تنتظم ضمنها الأحزاب كلها؟ أليست هذه الظاهرة أكثر من شاذة حتى بالمعايير السياسية الرخوة؟ أليست حال أحزابنا في غربي كردستان أشبه بسجناء يتصارعون على من يكون الزعيم في السجن، بدل العمل معاً للخلاص من السجن والسجّان؟

ولو كانت ثمة أجندة كردستانية موحَّدة هل كانت أحزابنا تتنازع بمجرد نشوب الثورة في سوريا، ويصبح بعض الكرد من (موالي) المجلس الوطني السوري، وبعض الكرد من (موالي) هيئة التنسيق الوطنية السورية، وبعض الكرد من (موالي) النظام السوري؟ وهل كانت مظاهرات شعبنا ستكون مختلفة الأمكنة والشعارات والألوان؟ وهل كانت أحزابنا تتصارع على من يكون السيّد الأوحد في الساحة؟ ألسنا نلهث الآن خلف ثورة قام بها غيرنا، ويقودها غيرنا، وسيوظّفها غيرنا لمصالحه؟ ألا تذكّرنا هذه الحال بانشطار أجدادنا إلى موالين للصفويين وموالين للعثمانيين، ألسنا الآن أمام بوادر من أن يتحول بعض الكرد إلى موالين لإيران سليلة الصفويين، وآخرون موالين لتركيا سليلة العثمانيين؟

أليست هذه الانقسامات، والجري خلف تحشيد الجماهير واختطافها، ورمي الاتهامات في وجوه الآخرين، دليلاً على أن أحزابنا فقدت البوصلة القومية، وهي تهتدي بالبوصلة الحزبية؟ أليست دليلاً على أن أحزابنا منشغلة بالأجندات الحزبية إلى حدّ العشق، ووضعت الأجندة الكردستانية جانباً؟

ويؤسفنا ويؤلمنا أن نقول: مع كل هذه الصراعات الحزبية، والجري وراء السيادية التي لا شريك لها، والسروكاتية التي تُختزَل فيها القضية القومية، ومع كل هذا الهوس بالأجندات الحزبية والشخصية، ومع كل هذه المناورات للهرب من الأجندة الكردستانية الموحَّدة، كيف لا يستمر المحتالون في احتلال كردستان؟ وكيف لا يستمرون في إذلال شعبنا وتصنيفه في خانة (أقليات)؟ وكيف لا يستمرون في نهب ثرواتنا؟ وكيف لا يرفضون تسميتنا (شعباً)؟ وكيف لا يشبّهونا بمهاجري فرنسا؟ وكيف لا يتجرّأون على أن يقولوا في المؤتمرات "طز في الأكراد!" ؟ وكيف لا يطعن شبابنا بعضهم بالسكاكين؟ وكيف لا يجري بعضهم خلف "الجيش الحر" ويستجديه لتأديب بعضنا الآخر؟

يا ساستنا المحترمين، حذار من تضييع "**مملكة**" جرياً خلف "**مسمار**"! وحذار من التضحية بالأمة الكردية على مذابح السياديات الحزبية! وحذار من تأليه الأجندات الحزبية وتغييب الأجندة القومية! فما يُدَبَّر لنا أخطر وأكبر من أن يتصدّى له حزب واحد، ولا خلاص لنا إلا بالأجندة القومية.

فهل أنتم فاعلون؟

وإلى اللقاء في الوصية الرابعة.

2012 - 7 – 22

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية الرابعة

انتقلوا من ردود الأفعال إلى صناعة التاريخ!

لم أجد في تاريخ الشرق الأوسط شعباً معرّضاً على الدوام لأسوأ الأخطار أكثر من لكردي، ولم أجد في تاريخ الشرق الأوسط ساسة منشغلين بالصراعات البينية أكثر من ساسة الكرد، إن هذه الحالة المرضية المزمنة باتت تفتك بالشخصية الكردية فتكاً، فتدمّر مرتكزات الثقة بالإرادة القومية، وترسّخ الشعور باليأس، وتعطّل العقل القومي في مواجهة الأحداث، وتبدّد جهود الأمة خارج ساحات الكفاح، وتزرع في اللاشعور القومي مسلّمة تتلخص في أن (الفرقة هي القاعدة، والوحدة هي الشذوذ).

وصحيح أن الأمة الكردية ضحية مؤامرات قوى الاستعمار إقليمياً ودولياً، لكن المسلّمة التي رسّخها ساستنا في تاريخنا- (الفرقة هي القاعدة، والوحدة هي الشذوذ)- وجعلوها خبزاً يومياً لنا، أنزلت بنا من الكوارث ما عجز عنه المحتلون، وأخطر ما في الأمر أن هذا النهج الشاذ يعطّل الخصائص الإيجابية في شخصيتنا القومية، كنا أمة فعّالة تصنع التاريخ، فحوّلتنا تلك المسلّمة إلى أمة منفعلة، أمة صدى للآخر، وكنا أمة رائدة في مقارعة القهر والطغاة، فحوّلتنا تلك المسلّمة إلى أمة انتهازية، أمة مستجدية.

وأعلم أن هذا الكلام قد يُغضب كثيرين، لكن الأمة التي تهرب من الحقائق، وتتجنّب مواجهة الذات، هي أمة حكمت على نفسها بأن تبقى تابعاً وذيلاً، وسيكون مصيرها إلى زوال كأمة وإن بقيت كأفراد، وعلى أية

حال ليست شهوة أن أكون همّازاً لمّازاً هجّاءً هي التي حملتني على طرق باب هذا الموضوع، وإنما ثمة حقائق أرغمتني على ذلك، وإليكم هذا المثال.

ظل الكرد في الجنوب يقارعون الأنظمة الشوفينية منذ سنة 1922، وقدّموا من الضحايا ما لم تقدّمه أمة في الشرق الأوسط، ومع ذلك عجزوا عن إقامة (إقليم كردستان)، إلا بعد أن غزا صدام حسين الكويت، وكوّنت دول الخليج جبهة عالمية ضده، وتصارع المستعربون- سنة وشيعة- فيما بينهم على السلطة، فانتهز الكرد الفرصة، وخرجوا من الغنيمة بتأسيس إقليم كردستان على نصف الأراضي الكردية، وبإدارات مهمة غير موحَّدة، وتركوا النصف الآخر من الجغرافيا الكردية في ذمة المادة الدستورية (140)، بانتظار أن تمنّ عليهم الظروف بمعجزة أخرى، فيستعيدون النصف الآخر.

والحقيقة أن ما حققه الكرد على هامش الصراع الكويتي- الصدامي، والصراع الشيعي السنّي، هو قصر شامخ مؤسس على الملح، وزخّة مطر مفاجئة كافية لانهياره، وهناك أكثر من زخّة مطر ممكنة، وبعضها على الأبواب، وهي ترعد وتبرق في دعوات الشوفيني مِشعان الجُبوري، فهو يعرف جيداً أن قوة الكرد في العراق ليست ذاتية مئة بالمئة، إنها قوة هشّة ومرتكزة على التناقضات بين المستعربين، ويعرف أن أدنى تفاهم بين الشيعة والسنة كفيل بإفقاد الكرد كثير من أوراقهم السياسية، وإشغالهم بالدفاع عن وجودهم، فضلاً عن المطالبة بكركوك وغيرها من الجغرافيا الكردية المحتلة.

وثمة زخّة مطر أخرى ممكنة، وهي أن يحصل- بمباركة من القوى الكبرى- تفاهم لتقاسم مناطق النفوذ بين السعودية وإيران، فعندئذ ستنقلب خريطة الصرعات رأساً على عقب، وستتحول دعوات التذابح الطائفي، إلى أبواق تصدح بالأخوة العربية الفارسية، والأخوة السنّية الشيعية، والعلاقة الحميمة بين علي وعثمان، وستغيب صرخات (يا لثارت الحسين!)، وسيتحوّل المستعربون السنة والشيعة إلى إخوة في العروبة والدين، وسيصبح إقليم كردستان في مهبّ الريح، أو سيُبقى عليه في وضع (الرجل المريض)، وستتركه القوى الكبرى لمصيره، لأنها أذكى من تترك أسماكاً كبيرة، وتنشغل بسمكة صغيرة.

وإليكم مثالاً آخر، وهو غربي كردستان، فمنذ منتصف خمسينيات القرن العشرين، وكصدى للثورات الكردية في الجنوب والشمال، تشكلت أحزابنا السياسية، كانت حزباً واحداً، ثم خصّها الله بنعمة التكاثر- ولِم لا؟ فالكرد شعب ولود، وليس من المعقول أن تشذّ أحزابنا عن هذه القاعدة، وأقصى ما طالب به أحزابنا على استحياء – ومن خلال النشرات- هو الحقوق الثقافية، وكان أعظم ما في تلك النشرات هو صدى، وأحياناً صدى للصدى، ومن تحت جناح تلك النشرات، مرّر الشوفينيون في سوريا كل مخطّطات القهر والصهر والتفقير والتهجير، وعندما ثارت الروح الكردية سنة (2004) كان أكبر إنجاز لأحزابنا هو إعادة الروح الكردية الثائرة إلى القمقم ثانية، وإراحة النظام الشوفيني من وجع الرأس.

وظللنا نتسكّع على الهامش، ونكتفي بإصدار النشرات وإطلاق بيانات الاستنكار، والنظام الفاشي يضحك منا في سرّه، ويشكرنا ضمناً على هذا النضال الورقي المهذَّب، إلى أن انطلقت الانتفاضة ضد النظام البعثي في آذار (2011)، وبعبارة أخرى ظللنا ننتظر إلى أن ثار المستعربون بعضهم على بعض، السنيون على العلويين، تماماً كالعراق لكن مع تعكيس الأدوار، ومع ذلك لم تجرأ أحزابنا على ترك موقع الهامش، إلا بعد أن جرجرتهم الحركة الشبابية العفوية إلى الميدان، ورأوا من الأنسب (انتهاز الفرصة)، فأعلنوا أنهم (جزء من الثورة)، وسرعان ما أصبح بعضهم على هامش (المجلس الوطني السوري)، وآخرون على هامش (هيئة التنسيق)، وفريق ثالث على هامش (الجيش الحر)، وصار الجميع يقلد (السيد)، وفي أيام الجُمع نرى العجب من ذلك التقليد البائس، حتى في اللافتات والكلمات والأهازيج.

وبتعبير آخر: مرة أخرى لم نكن في موقف الريادة، ولا من صنّاع الفعل التاريخي، كنا في موقف (الانفعال/الصدى(الانتهاز)، وإذا حدث مستقبلاً أيّ تفاهم بين الفريقين المتصارعين، فسنعود إلى حالنا السابقة، نناضل بنشرات تطييب الخواطر، وبيانات تهدئة المشاعر. لا بل إن الفريقين المتصارعين حتى وهما

في قمة التذابح يعلنان جهاراً- ونحن نشكرهم على هذه الصراحة- أنهما للكرد بالمرصاد، ورغم تصريحات أردوغان النارية ضد النظام البعثي، خرج وزير خارجية النظام يقول في مؤتمر صحفي (نحن حريصون على تطبيق بنود اتفاقية أضنه)، وإلى الآن يأبى رجالات النظام من نطق كلمة (إقليم كردستان)، ويصرون على عبارة (شمال العراق).

وأما فريق المعارضة، فصرّح معظم زعمائهم- بدءاً من المالح شيخ الحقوقيين، إلى غليون شيخ الجامعيين، إلى شقفة شيخ الإخوان، إلى البشير شيخ البدو- بأن ليس للكرد سوى حق المواطنة، لا إدارة ذاتية، ولا فيدرالية، ولا كردستان غربية، وتوّجها أحدهم بعبارة (طز في الأكراد!)، وظهر العرعور شيخ السلفيين، هو يهز إصبعه ويقول مهدداً: لن نسمح لكم! لن نسمح لكم! وفهمكم كافي! أي إذا لم تلزموا حدّ (التبعية للسيد) فسأفلّت عليكم قطعان الانتحاريين، وهو مشكور جداً على هذه الصراحة، كي لا يتمترس ساستنا مستقبلاً وراء عبارة (والله ما كنا نتوقع...).

والغريب أنه رغم هذه التصريحات والتهديدات ما زال ساستنا مشغولين بحيازة المكاسب الحزبية، كل منهم يرفع علمه وشعاره على الأماكن، وكأنهم ينجزون فتوحات تاريخية، وذاك يصرح ضد ذاك في الصحف، وآخر يناور ويبيّض صفحة حزبه، ويسوق المساوئ إلى باب دار الحزب الآخر، إنهم يوقّعون الاتفاقيات لحل المشكلات، فتتحول الاتفاقيات نفسها إلى مشكلات جديدة، بحاجة إلى اتفاقيات جديدة لحلها، وبدلاً من أن يُشغلونا بتكوين الرؤية الواحدة والموقف الواحد، يزيدوننا تمزيقاً بالانحياز إلى هذا ضد ذاك، ويزيدوننا في الوقت نفسه غضباً، أليس هذا معيباً في حق شعبنا؟

والكرد في الشمال والشرق ليسوا أفضل حالاً منا، فهم يناضلون منذ قرن، وببركات أحزابهم هناك ظلوا يراوحون في المكان إلى حد كبير، وهم أيضاً بحاجة إلى معجزة تنزل عليهم من فضاء الصراعات البينية في تركيا وإيران، كي تتاح لهم الفرصة- على هامش تلك الصراعات- للفوز بالإدارة الذاتية، لكن المشكلة أن ملالي تركيا الجدد وملالي إيران قد أحكموا الطوق، وهم أذكى من البعثيين في العراق وسوريا، ولذلك فاحتمال نزول المعجزات هناك شبه معدوم على المدى المنظور.

يا ساستنا المحترمين، يعلم الله أننا لسنا هواة كتابة قصص النكد، وأننا نُجلّ من الأعماق كل من ناضل في سبيل كردستان ولو بكلمة، لكن يا إخوتنا الأعزاء، ما هكذا يتمّ تحرير كردستان من قبضة أكثر الشوفينيين توحّشاً وأكثر الفاشيين مكراً ونذالة، وما هكذا تعالَج المشكلة الكردية الأكثر تعقيداً في الشرق الأوسط، إن المطلوب- وبأسرع وقت- هو الانتقال من مواقع الانفعال/الصدى/الانتهاز إلى مواقع الفعل الثوري الحقيقي، ولن يتحقق ذلك وأنتم أسرى النرجسية الحزبية.

يا ساستنا المحترمين، تخلّوا عن المناورات والاتهامات المتبادلة، كفاكم هبوطاً إلى المنحدرات، هذا سلوك مخجل، حلّقوا في الفضاء القومي الرحيب، كونوا شامخين كقمم زاغروس وطوروس وآغري، استلهموا روح الأمة، استلهموا بطولات شهدائنا وحسرات عظمائنا في المنافي وتحت أعواد المشانق، انتظِموا جميعاً في هيئة قومية عليا بقيادة حكماء الكرد وليس بقيادة الأحزاب فقط، ضعوا البرامج والخطط.

وابدأوا صناعة التاريخ.

وإلى اللقاء في الوصية الخامسة.

2012 - 7 – 24

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية الخامسة

ها هي الأجراس تُقرَع! فهل استعددتم للمخاطر!

كان الأب من القايكنغ- سكان إسكندنافيا القدماء- يضع سيفاً مسلولاً أمام طفله الوليد، ويقول له: **"ليس لديّ ذهبٌ ولا فضّة ولا ثروة أورثها لك، وهذا ميراثُك، حقّقْ به الرفاهية لنفسك"**. وما الميراث الذي نضعه نحن الكرد أمام أطفالنا حينما يولدون؟ كومة هائلة من المشكلات: وطنٌ ممزَّق ومحتلّ، وهويّةٌ مسلوبة، وشخصيةٌ مخترَقة، وثرواتٌ منهوبة، وخصوم بذهنيات شوفينية فاشية شرسة، وعالمٌ بلا أصدقاء سوى الجبال، وأفق مسدود، ثم نقول لأطفالنا: هذا ميراثكم، حقّقوا به كل ما تريدونه من نكد وتعاسة.

يعبر الكردي إلى الحياة فيجد نفسه أمام ثلاثة خيارات: إما الرضا بالعيش عبداً في قبضة الشوفينيين، وإما الرفض وقضاء الحياة في الزنازين أو الجبال، وإما الفرار من الوطن، وهناك تبدأ مرحلة جديدة من مراحل استلاب الشخصية. نحن الكرد نولد في فوّهات البراكين، ونُمضي الحياة في فوّهات البراكين، نولد في عالم متوحّش لا يفهم إلا القوة الباطشة، الكلّ مُصرٌّ على أن نستسلم ونقول: لا (كرد) ولا (كردستان)، هُراءٌ كلُّ ما نسمعه عن الأخوّة والقيم النبيلة، بقدر ما تكون قوياً وباطشاً تكون موجوداً ومبجَّلاً.

تلك هي الحقيقة، ودعونا نستعرض- على ضوئها- حجم المخاطر التي تهدّدنا في غربي كردستان، فالصراع السوري صراع على السلطة والثروة بين فريق سنّي وفريق علوي، وهو في جوهره جزء من صراع سنّي/شيعي إقليمي أوسع. أما بالنسبة لنا فهو صراع وجود أو لا وجود، صراع أمة تدافع عن هويتها ضد الاستلاب والانمساخ، وتتمسّك بإرادة الحياة على ترابها القومي حرة مثل بقية الأمم، ولذلك فنحن مضطرون إلى خوض الصراع على أربع جبهات في آن واحد، وكلها حافلة بالأخطار:

أولاً – صراع ضد النظام البعثي: فهو مصرّ إلى الآن على تجاهلنا كشعب، ويريدنا أن نكون فقط جزءاً من (النسيج السوري) بالكيفية التي يريدها هو، أي أن نستسلم لمشروع التدجين والصهر، ولم يتفضّل علينا في دستوره الجديد بأبسط حقوقنا الثقافية، فكيف سيوافق على أن تكون لنا إدارتنا الذاتية؟ وإذا استردّ قوته، واستقامت له الأمور، فلن يتردّد في استكمال مخطّطاته الشوفينية.

ثانياً – صراع ضد المعارضة: فالذهنيات الشوفينية مهيمنة على عدد كبير من قادتها، لا فرق بين قومي وإسلامي، وبدوي وحضري، وحقوقي وجامعي، هم جميعاً من خرّيجي ثقافة إنكار الآخر، وهل هناك مؤشّر حقيقي يدل على تراجع هذه الثقافة في الشرق الأوسط كي نتفاءل بتراجعه في سوريا؟ إنهم الآن بحاجة إلينا: داخلياً لتوهين النظام، وخارجياً للتدليل على أنهم ديمقراطيون. لكن عندما يوضَعون على المحكّ، سرعان ما تعود حليمة إلى عادتها القديمة، ويفقدون السيطرة على أنفسهم، وتفضحهم ألسنتهم، ويعترضون على أي وجود ذي معنى قومي لنا. وثمة أكثر من خطر محتمَل من جانب المعارضة:

- الخطر الأول: تشتيتنا، وهو حاصل الآن، فنحن مشرذمون الآن بين أكثر من فريق منهم.
- والخطر الثاني: تسليط (الجيش الحر) علينا، وقد وجّهت العناصر المسلّحة التهديد لنا أكثر من مرة، وصحيح أنهم يستهدفون الآن pyd ليُدخلوه بيت الطاعة، لكن الدور أتٍ على الجميع.
- والخطر الثالث: إطلاق قطعان الانتحاريين علينا، كما هو الحال في العراق وأفغانستان الآن.

ثالثاً – صراع ضد تركيا: فها قد أعلن الفاشيون الترك عن حقهم في الدخول إلى الأراضي السورية (أي مناطقنا الكردية) لملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني، وإذا كانوا ينفقون المليارات لقمع الكرد في الشمال، علماً بأنهم يطالبون بالإدارة الذاتية فقط، فكيف سيقبلون أن تكون لنا إدارة ذاتية؟ أما سكوتهم على إقليم كردستان فتلك كانت غلطة، ولن يكرروها ثانية. ولا ننس أن القوى الكبرى هي مع تغيير الأنظمة التي أصبحت عبئاً عليها، لكنها لا تقبل المساس باتفاقية سايكس- بيكو، وإلا فلماذا لا تسمح للكرد في الجنوب بتأسيس دولة مستقلة؟ ولماذا تصنّف pkk في خانة (الإرهاب)؟ إنها إذا جدّ الجدّ لن تترك حليفتها تركيا وحلفاء تركيا (المعارضة)، ولن تقف إلى جانب حقوقنا.

رابعاً – صراع على جبهتنا الداخلية: وهنا الخطر الأكبر، فنحن مجتمع غير متماسك، لا سياسياً ولا ثقافياً ولا اجتماعياً، واحتمالات اختراقنا كثيرة، وإلا فما معنى أن نبقى- بعد 16 شهر- غير موحَّدين حقيقة؟ أليس من الحكمة أن نتعلم من كرد الجنوب الذين توحّدوا عندما جدّ الجِدّ؟ إننا الآن مهيَّأون للاختراق من قِبل النظام السوري والمعارضة السورية وتركيا، ولا تنسوا أن لنا تراثاً عريقاً في أن يتحول بعضنا بسرعة إلى (جاش) و(حرّاس قرى) و(انتحاريين)، أجل، إن ثقافة العبودية ربّتنا على أن يكون (سيّدنا) المفضَّل أجنبياً، ويصعب على عدد غير قليل منا أن يكون (سيّدنا) كردياً.

وكي نحصّن شعبنا ضد هذه الأخطار وغيرها نرى القيام بما يلي وبأقصى سرعة ممكنة:

1 – أن تحلّ أحزابنا جميعاً أنفسها، وتنتظم في جبهة كردستانية واحدة، بهيئة قيادية عليا موسَّعة يتمّ انتخابها، ومن الضروري أن تضم شخصيات ثقافية واقتصادية واجتماعية، وشخصيات من جيراننا (عرب، أشور، سريان، أرمن، إلخ). وقد يبدو هذا الاقتراح لا واقعياً بل مستغرَباً، والذي نراه أن هذا التشرذم الحزبي هو اللاواقعي والمستغرَب في هذا الظرف الاستثنائي، ولا ندري ما حقيقة الاختلاف بين برامج أحزابنا؟ وعلى ماذا تتصارع؟ هل نحن نخوض صراعاً طبقياً، دينياً، مذهبياً، أيديولوجياً، أم نخوض صراع وجود؟ وبما أن مشكلتنا قومية أصلاً فما هو المبرر لأن نتشرذم حزبياً، ونُشرذِم الشعب فيما بيننا؟

2 – تقوم الهيئة القيادية العليا باختيار الراية القومية والراية السورية المفضَّلة، وتوحيد الرموز والشعارات، وتوحيد الخطاب السياسي داخلياً وخارجياً، واستبعاد اسم أو صورة أيّ (سروك) في المحافل العامة إلا في إطار جماعي موحَّد، ونعلم أن معظم أحزابنا تبعٌ لأحزابنا الكبرى في الشمال والجنوب، وهي بالتأكيد أحزاب ذات تراث قومي عريق، وقادتها ذوو تاريخ نضالي جدير بكل احترام، لكن نعتقد أن قادة هذه الأحزاب أكثر حكمة من أن يجعلوا أسماءهم وصورهم مصدراً لخلافاتنا، وأكثر إدراكاً لأهمية وحدة صفّنا، ولأهمية موقعنا استراتيجياً بالنسبة لهم ونحن على مرمى حجر من البحر الأبيض المتوسط، يقول الشاعر:

تأبى الرماحُ إذا اجتمعنَ تكسُّراً وإذا افترقنَ تكسّرتْ آحـــــادا

3 – تصوغ الهيئة القيادية العليا مشروع قومياً واقعياً وعقلانياً ممكن التطبيق، وتأخذ في الحسبان الظروف السورية والإقليمية والعالمية، والدخول بناء عليها في علاقات خارجية وتحالفات داخلية، ونرى أن (الفيدرالية) هي أقصى ما يمكن أن نطالب بها في هذه الظروف، وألا نرفع السقف، وإلا فقد نخسر كل شيء، فالسياسة هي (فن الممكن)، ولا ننسى أننا ندين بالمواطنة السورية، وأن الظروف الكردستانية والإقليمية والدولية لا تسمح لنا الآن بغير التحرك ضمن هذا الإطار.

4 – تشرف الهيئة القيادية العليا على إقامة الهيئات والمؤسسات والمنظمات والمجالس التي يحتاجها مجتمعنا على جميع الأصعدة، تشريعياً، وتنفيذياً، وسياسياً، وثقافياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وخدمياً، وتشرف على صياغة البرامج والقواعد والضوابط التي يحتاجها المجتمع لتحقيق حياة آمنة.

يا ساستنا الأعزاء، إن خصومنا يقرعون لنا الأجراس، وجدير بنا أن نكون في مستوى فهم ما يدور حولنا، ونرتقي فوق ذواتنا الشخصية والحزبية، ونتوحّد، إن في التاريخ مئات الأمثلة على أننا أمة شجاعة،

ونحن الآن بأمسّ الحاجة إلى اتخاذ قرارات مصيرية شجاعة، وإن في تاريخنا قوافل لا تنتهي من أبطال قدّموا أرواحهم فداء لنا، أفلا يستحقون أن نكافئهم، ونضحّي بامتيازاتنا الشخصية أو الحزبية؟ ألا يستحق أطفالنا الذين لم يولدوا بعد أن يجدوا أمامهم ميراثاً آخر غير ميراث الفرقة والنكد والتعاسة؟

وإلى اللقاء في الوصية السادسة.

2012 - 7 – 27

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية السادسة
المثقفون قوّة عظمى، وظّفوها قوميّاً!

تقوم وحدة الأمة ومكانتها في التاريخ على ركنين هما: الثقافة والسياسة، وعندما يختلّ أحدهما ويتعطّل دوره لا يمكن للآخر أن يقوم بالعبء وحده. وقد ركّز الفيلسوف الألماني إيمانويل كانْت فلسفته على قاعدتين هما: العقل النظري، والعقل العملي. ونستعير منه هذين المصطلحين، فنقول:

1 - الثقافة هي العقل النظري للأمة: إنها العقل الذي يتعامل مع المعلومات، ينتخبها ويخزّنها ويحللها ويقوّمها، وينتج المعرفة بكافة أشكالها، وهو العقل الذي يطوّر القيم والمبادئ ويرسم الطريق إلى السلوكيات القويمة، ولذا فالمثقفون- وخاصة الروّاد سواء أكانوا فلاسفة أم علماء أم أدباء- هم دماغ الأمة وعقلها الجمعي، وبفضلهم تصبح الأمم متوحّدة ومتحضّرة ومزدهرة ومستقرة وقوية وسعيدة.

2 – السياسة هي العقل العملي للأمة: إنها العقل الذي يصنع المُناخ المناسب للثقافة كي تُبدع، ويُمَأسِس عملية إنتاج المعرفة، وعملية تعميم المعرفة، وعملية تقييم المعرفة، وعملية توظيف المعرفة، وتحويلها إلى خطط وبرامج وحقائق موجودة على أرض الواقع، يستقي منها كل فرد، ويتربّى عليها وينتفع بها، وأيضاً هو العقل الذي يُمَأسِس القيم والمبادئ الأخلاقية، ويشرف على الالتزام بها.

جدلية الثقافة والسياسة:

تُرى ما سرّ قوة الغرب (أوربا وأمريكا) وريادته الحضارية؟ إن اثنين ربما من كل عشرة آلاف شخص هما اللذان يقفان وراء تلك القوة والريادة، هما (المثقف) و(السياسي)، وبالمقابل إذا دققنا النظر في تخلّف الشرق الأوسط عن ركب الحضارة، وفي هذه الصراعات المستمرة والتذابح المتوحّش، لوجدنا (المثقف) و(السياسي) هما اللذان يقفان وراءها، إنهما يعمّمان في المجتمع الفكرَ الخُرافي، الفكرَ الإقصائي، الفكرَ الذي يزرع روح القطيع وثقافة العبودية، وينمّي غرائز الضغينة والبطش والانتقام.

إن الأمم التي صنعت الأمجاد قديماً وحديثاً، وأنجزت الحضارة وحققت التقدم والازدهار، هي الأمم التي توثّقت فيها العلاقة بين (المثقف) و(السياسي)؛ الأول وهب نفسه للثقافة فأبدع وأنتج، والثاني مَأسس وخطّط وبرمج ووظّف وعمّم، وكم كان الإسكندر المكدوني ذكياً حينما قال لأستاذه الفيلسوف اليوناني أرسطو: " **لا أزال أفضّل أن تكون لي قوة العلم لا قوة السلاح**"، وهو القائل أيضاً: "**إن أبي هو الذي وهبني الحياة، لكن أرسطو هو الذي علّمني كيف أحيا**". وكم كان نابليون فَطِناً حينما قال للعالم الفيزيائي والرياضي غاسبار

مونج وهو يقلّده الوسام سنة (1803م):" **إنني أحسدكم معشرَ العلماء، فكم يجب أن تكونوا سعداء! لأنكم وصلتم إلى المجد دون أن تلطّخوا خلودكم بالدم**".

ولا يخفى أن الأمة الكردية تعيش- منذ 25 قرناً- حالة غريبة، قياساً بالأمم الأخرى، وكان من المفروض أن تجتاز هذه الحالة في القرن العشرين، لكنها أخفقت، ولم تحقق سوى منجزات قومية ضئيلة؛ قياساً بسرعة المتغيرات الثقافية والسياسية المعاصرة، ولا نعتقد أن ثمة كردياً أصيلاً وغيوراً إلا ويجد نفسه أمام هذا السؤال الكبير: لماذا كانت هذه الحالة الغريبة؟ ونعتقد أن الجواب الذي قد يتفق عليه الجميع، هو أن السبب الأكبر وراء ظهور هذه الحالة الغريبة واستمرارها هو افتقارنا إلى (الوحدة)، وحدة الرؤية القومية، وحدة الموقف القومي، وحدة القرار القومي، وحدة الفعل القومي.

وهذا يجرنا إلى سؤال آخر: لماذا نفتقر إلى وحدة الرؤية، ووحدة الموقف، ووحدة الفعل؟

نعتقد أن السبب هو افتقارنا إلى (وحدة الوعي القومي)، إن احتلال وطننا طوال 25 قرناً، ووقوعنا في قبضة المشاريع الشوفينية، ومعاناتنا من سطوة الأنظمة الفاشية المتوحّشة، لم تمزّق وطننا فقط، بل دمّرت أيضاً مرجعيتنا القومية، ومزّقتنا ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، واخترقت شخصيتنا القومية فشوّهتها، وأحدثت الخلل في منظومتنا القِيَمية، إضافة إلى رمْينا بين فكّي الفقر، وتعميم الجهل بيننا، وتهميشنا حضارياً، وباختصار: إنهم شوّهوا إنسانيتنا، وهذا أسوأ ما يرتكبه المحتلون والشوفينيون في حق الأمم.

إن جميع ما سبق تفاعل طوال 25 قرناً، وأدّى إلى وجود خلل كبير في وعينا القومي، نحن منذ قرون لم نعد أمة (متجانسة قومياً) بالمعنى الدقيق لهذه العبارة، لقد أفلح المحتلون في تشطير وعينا وتمزيقه، تلك هي الحقيقة، وينبغي أن نقرّ بها، ونتعامل معها بفكر علمي، إن جذورنا الضاربة في عمق التاريخ، منذ عهد حضارة گوزانا حوالي (5000 ق.م)، وصلابة شخصيتنا وعنادنا، ووعورة جبالنا، وأمتنا الولود، هي التي مكّنتنا من عبور هذه القرون الخمسة والعشرين الجهنمية ونحن نعرف أننا (كرد)، وأننا (أمة)، وأن لنا وطناً اسمه (كردستان)، ولولا ذلك لكنا انمسخنا وانصهرنا وانتهينا إلى الأبد.

إن مهمّتنا الأساسية الآن هي إنقاذ إنسانيتنا من قبضة التسفّل والانمساخ، وتطهير شخصيتنا القومية من ثقافة العبودية، وإحياء قيَمنا القومية، وتأسيس مرجعيتنا القومية، ولتحقيق هذه المنجزات المهمة جداً بحن بحاجة إلى (وعي قومي متجانس)، وعي تتحقق في إطاره وحدة الرؤية، ووحدة الموقف، ووحدة القرار، ووحدة الفعل، ولا يمكن تحقيق (وعي قومي متجانس) إلا بالتفاعل والتكامل بين (المثقف) صانع العقل النظري، و(السياسي) صانع العقل العملي، وإن التشتّت الغالب على مواقفنا إزاء الأحداث، لهو أكبر دليل على وجود خلل كبير في العلاقة بين (المثقف الكردي) و(السياسي الكردي).

المثقف قوة عظمى:

وبما أن خطابنا الآن موجّه إلى الساسة خاصة- ولعلنا نوجّهه ذات يوم إلى المثقفين أيضاً- فإننا نناشدهم أن يعيروا مسألة (دور المثقف) في مسيرتنا التحررية قدراً كبيراً من الاهتمام الجادّ، إن أمة تركّز فقط على الحراك السياسي، وتهمل الحراك الثقافي (المعرفي)، لهي أمة تفكر بنصف عقل، وتمشي بقدم واحدة، وفي هذا المجال نقدّم لساستنا المحترمين المقترحات الآتية:

أولاً- شجّعوا المثقفين على الارتقاء: حثّوهم على التخصص والتعمق في أحد فروع المعرفة (تاريخ وآثار، علوم سياسية، علوم عسكرية، علم اجتماع، علوم اقتصادية، علم نفس، أدب، إلخ)، من خلال مطالبتهم بالكتابة في موضوعات ذات صلة بأحد تلك المجالات، ومن خلال طرح التساؤلات عليهم، ووضعهم أمام المعضلات التي تواجه الأمة، وحثّهم على البحث عن الإجابات والحلول.

ثانياً – وظّفوا طاقات المثقفين: وذلك من خلال الاستعانة بهم في اتخاذ القرارات، ووضع الخطط والبرامج، وها أنتم ترون أن ساسة الدول المتقدمة خاصة يستعينون بمثقفي شعوبهم في مختلف التخصصات، حينما يريدون الإقدام على اتخاذ أيّ قرار داخلياً وخارجياً، إنهم يسعون إلى توظيف (العقل الجمعي) ومخزون الأمة المعرفي، ألسنا نحن أيضاً أوْلى بأن نفعل ذلك؟

ثالثاً – كرّموا المثقفين: وخاصة المبرِّزين والناشطين منهم، وليكن ذلك بحضور جماهيري يليق بهم، مع تقديم هدايا رمزية لهم (أوسمة، شهادات، كتاب، إلخ)، إن تصرفاً كهذا يدفع المثقف المكرَّم إلى مزيد من الالتزام والنشاط، كما أنه يخلق الدافعية إلى العمل المعرفي عند الآخرين، ويرسّخ في جماهيرنا تقاليد حضارية رائعة بخصوص احترام المثقف والاهتمام بالثقافة.

رابعاً – افتحوا النوافذ للمثقفين: إن مثقفاً منفصلاً عن الجماهير لا يمكن أن يبدع، فدعوهم يتواصلوا مع الجماهير بشكل منتظم، كلٌّ حسب تخصصه، وأتيحوا لهم الفرصة كي يقوموا بدورهم في تقديم المعلومات وتعميم المعرفة، وتطوير الوعي الجماهيري، والتهيئة للوصول في النهاية إلى تحقيق (وعي قومي متجانس).

خامساً – اطبعوا للمثقفين نتاجاتهم: وهذه واحدة من أكبر الثغرات لدى أحزابنا في التعامل مع المثقف، فما المانع من أن يُختار كل مرة نتاجٌ قيّم لأحد المثقفين، في الفكر، أو العلوم، أو الأدب، أو التاريخ، إلخ، وطباعته ونشره بين الجماهير بسعر الكلفة، ودعم المثقف ببعض المال إذا كانت حالته الاقتصادية ضعيفة- وهي في الغالب كذلك؟ بذلك يتحقق أكثر من هدف: نشجّع المثقف على الإنتاج الأفضل، ونبني جسور التواصل بينه وبين الجماهير، ونرتقي بمستوى جماهيرنا معرفياً.

سادساً – أطلقوا ألسنة المثقفين وأقلامهم: أجل، حذارِ من تدجينهم أو تقريعهم، فالأمم لا تتطور ولا تتقدّم إلا في مناخ يسوده النقد البنّاء، وإن الأمم التي تخاف من مثقفيها، وتَحجر عليهم وتهمّشهم، لهي أمم تحكم على نفسها بالتخلف، لذا دعوا المثقفين يتكلمون ويكتبون، ما داموا منطلقين من الالتزام بهموم الأمة، وهل ثمة همّ أكبر من توعية الجماهير، والارتقاء بمستواها المعرفي، تمهيداً لتوحيد الأمة، والتحرر من الاحتلالات؟

سابعاً – اتركوا المثقفين مُلكاً للأمة: دعوهم على الحياد، وليكونوا مُلكاً للجماهير، وليس من الصواب مضايقتهم و(كشّهم) إلى حظيرة هذا الحزب أو ذاك، فكل تحزّب يتضمّن في صميمه قدراً من التعصّب، وأحياناً يكون تعصباً أعمى، كما هي الحال عند كثيرين من أتباع الأديان والمذاهب، وكيف يمكن لمثقف متحزّب أن يكون (عقل الأمة) ومرشدها؟

يا ساستنا الأعزّاء! ثمة حكمة صينية تقول: " **إنك لا تستطيع أن تحكم شعباً من فوق صهوة جوادك طويلاً**"، وقال بوذا: " **الحقيقة تقنع الناس، لا القوة**"، فاعملوا كي تكون (قوة المعرفة) هي الرائدة والسائدة بين جماهيرنا، إن قوة المعرفة هي (القوة العظمى)، وبها يقوى الضعيف، ويتحرر المستعمَر، ويتحضّر المتخلّف، والمثقفون هم صنّاع هذه القوة العظمى، بل هم أنفسهم (قوة عظمى)، فكونوا رعاتها وحماتها، وهل من سبيل إلى ذلك إلا بتمكين المثقف من مكانه الطبيعي في قيادة الأمة؟

وإلى اللقاء في الوصية السابعة.

2012 – 7 – 28

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية السابعة

أعيدوا بناء الشخصية الكردية!

قال المؤرخ ولْ دِيُورانْت: **"تكاد مآسي أغسْطُس وهزائمه كلُّها أن تكون في داخل بيته"**. (ول ديورانت: قصة الحضارة، 42/10). وأغسطس من مشاهير أباطرة روما (ت 14 م)، وهو مؤسس الإمبراطورية الرومانية وما قاله ديورانت يصحّ علينا نحن الكرد أيضاً، فمعظم أسباب الهزائم والمآسي التي حلّت بأمتنا ترجع إلى الخلل في البيت الكردي، وقد ذكرتُ بعض أوجه ذلك الخلل بإيجاز في دراسات سابقة، لكن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة مستقلة شاملة، ونأمل أن نتفرّغ لها مستقبلاً.

البيت الكردي من الداخل:

ولن نذهب بعيداً في التاريخ، وإنما نبدأ من القرن السادس عشر، وتحديداً من معركة Çeldêran (1514 م)، حينذاك تقاسم العثمانيون والصفويون وطننا، ثم تقاسمه ورثة مؤامرة سايكس- بيكو في بدايات القرن العشرين، فطمسوا هويتنا، وزرعوا ثقافة العبودية في شخصيتنا، وجرّدونا من بعض قيمنا، وأفرغوا ذاكرتنا القومية، وحشوها بأمجادهم المؤسسة على الغزو والبطش بلا حدود، سمعت بعض كبارنا يقول "كان السلطان عبد الحميد يلقي سجّادته على البحر ويصلّي عليها"! أرأيتم كيف حوّلوا توحّشهم إلى كرامات؟ وإلى أية درجة ضلّلوا أجدادنا وسلبوهم وضوح الرؤية؟

إن الخلل الذي تسلّل إلى بيت الأمة الكردية، وشوّه الشخصية الكردية، هو من أبرز أسباب فشل ثوراتنا منذ بداية سنة (1800 م)، إنه أدّى إلى أن يفقد قسم من نُخب الكرد ثقتهم بأمتهم، وينتموا إلى الآخرين، يقول دبليو آر: **"ويفخر كل زعيم كردي تقريباً بأنه ينحدر من أصل عربي، ويحاول إرجاع نسبه إلى النبيّ أو أحد صحابته الأولين"** (دبليو آر: مذكرات دبليو آر، ص 114)، وذلك الخلل هو الذي جعل المفكر والشاعر محمد زيا يتخلّى عن اسمه الكردي، ويتخذ الاسم التركي (ضيا گوك ألْپ)، ويضع أسس الطورانية في كتابه (مبادئ القومية التركية) (جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص 352).

وذلك الخلل هو الذي جعل الكردي عصمت إينونو يحذّر الكرد قائلاً: **"لا يحق لغير الأمّة التركية أن تطالب بأيّ حقوق إثنية أو قومية في هذه البلاد. فما من أمّة أخرى، أو عنصر عرقي آخر، يملك مثلَ هذا الحق"**. (جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص 342) ، وذلك الخلل هو الذي جعل الكردي علي صالح السَعْدي رئيس حزب البعث في العراق يهدّد الكرد بإعلان الحرب عليهم سنة (1963)، ويعطي القائدَ ملا مصطفى بارزاني- رحمه الله- ورفاقه **"مهلة أمدُها أربع وعشرون ساعة للاستسلام، وإلا فلن تقوم لهم قائمة"**. (دانا آدمز شمدت: رحلة إلى بلاد شجعان، ص 355). وذلك الخلل هو جعل العالم الكردي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، يتجاهل ما حلّ بالكرد من قهر وصهر، ويرتقي المنبر في إحدى ساعات تجلّياته، ويعلن أنه يضع نسبه تحت قدمه، وذلك الخلل هو الذي أنتج الـ (جاش) مع كل ثورة كردية، وجعل حوالي (70) نائباً كردياً في البرلمان التركي من غلمان حزب (العدالة والتنمية) الطوراني.

إن القائمة السوداء طويلة، ولا ريب في أن الجبال والذهنية القَبَلية ساهمتا في توهين الشخصية الكردية من الداخل، وأشاعتا الفرقة والفقر والجهل والغربة عن الحضارة، لكنهما كانتا في الوقت نفسه آخر الحصون التي حالت دون انهيار الشخصية الكردية بالكامل، بلى، رُبّ ضارّةٍ نافعةٍ كما يقول المَثَل، فالجبال والقبيلة قطعت الطريق على مشاريع المحتلين المتوحّشة، إنها صانت وجودنا الفيزيائي والثقافي من الدمار، وأنجبت

في كل حين رجالاً عظماء يجسّدون عنفوان الروح القومية، رجالاً مثل ذلك الزعيم القبَلي الذي قال سنة (1675 م):" **أنا وليس السلطانَ العثماني إمبراطورُ هذه الأرض، إنه قد يكون أقوى منّي، ولكنني أنبل منه** " (أرشاك سافراستياك: الكرد وكردستان، ص 89).

وبعد (25) قرناً من الاحتلالات ها قد عبَر شعبنا إلى القرن الواحد والعشرين، عبَر وهو يقيم على ترابه القومي، ويعي أنه (كردي)، وعبَر وهو وافر العدد، وهذه إنجازات رائعة إذا أخذنا في الحسبان سادية الشوفينيين الذين ابتُلينا بهم، ولا ننسى أن نقول: مرحى لجدّاتنا وأجدادنا الذين صنعوا هذه الإنجازات! ومع ذلك تقتضي الواقعية أن نقول أيضاً: لقد وصلنا إلى القرن الواحد والعشرين وشخصينا القومية مُثقَلة بسلبيات كثيرة ضُخّت فيها طوال 25 قرناً.

المهمّات العاجلة:

حينما هزم نابليون الإمارات الألمانية، قال فيخته (ت 1814 م) فيلسوف القومية الألمانية: **"لقد خسرنا كلَّ شيء، لكن تبقى أمامنا التربية"**. (جان توشار وآخرون: تاريخ الفكر السياسي، ص 384)، ونحن أيضاً خسرنا الكثير، لكن تبقى أمامنا إعادة بناء شخصيتنا القومية، وتلك هي مهمّتكم أنتم يا ساستنا المحترمين، بالتعاون مع المثقفين صنّاع (المعرفة)، وفي هذا المجال نرى من الضروري القيام بما يلي:

أولاً- بناء الشخصية قومياً: عبر إيقاظ الوعي القومي الأصيل في القلوب والعقول، وتطويره بما يتناسب مع ظروفنا المعاصرة، ويتحقق ذلك بأمرين: الأول تعميم المعرفة بتاريخنا القومي، فإن أمة منقطعة عن تاريخها هي أمة بلا جذور وبلا مستقبل. والثاني ربطُ الأجيال بالنُخب القومية، فنُخب الشعوب هم مرجعيتها الروحية، وبهم تسترشد الأجيال، ومنهم تستلهم روح الإقدام والتضحية.

ثانياً- بناء الشخصية معرفياً: إن أمة جاهلة لا يمكن أن تكون متوحّدة، ولا قوية، ولا قادرة على الدفاع عن كرامتها، المسألة في الأساس (مسألة معرفة)، ولتطوير الشخصية معرفياً ينبغي وضع خطط تثقيفية تشمل مختلف مجالات المعرفة، وإكساب الجماهير عادات القراءة الهادفة، فأمة لا تقرأ لا مكان لها إلا في ذيل التاريخ، وبالقراءة الهادفة نتحرر من التفكير الخرافي الساذج، ونؤسّس الفكر العلمي، إضافة إلى ضرورة إكساب الجماهير ثقافة تقدير قيمة الوقت، فالوقت أثمن ما يملكه الإنسان، والحكمة تقول: قل لي كيف تنفق وقتك، أقل لك أين يكون موقعك في التاريخ.

ثالثاً- بناء الشخصية جسدياً ونفسياً: أجسادنا هي الجياد التي نخوض عليها معاركنا في الحياة، وكي نربح المعارك ينبغي أن تكون جيادنا بأفضل لياقة وكفاءة، ويمكن تكليف السادة المختصين (أطباء، صيادلة، ممرضين) بإعداد خطط صحية، وتعميمها على الجماهير، وينبغي وضع برامج تثقيفية لتحرير شعبنا من ثقافة الهزيمة، إن الشخصية المتّزنة نفسياً هي التي تتعامل مع الأحداث بشكل صائب، كما أن البعد الجمالي مهم جداً، نقصد عشق القيم الإنسانية السامية، قيم النبل والحرية والفداء واحترام الآخر، إضافة إلى الاهتمام بالجمال في المظهر، والمنزل، والقرية، والمدينة، والبيئة عامة.

رابعاً - بناء الشخصية اقتصادياً: إن الفقر كالجهل عاملٌ مدمّر للشخصية جسدياً وفكرياً ونفسياً، وأول ما ينبغي التركيز عليه هو إكساب الجماهير حبّ العمل، ومكافحة البطالة والكسل، وتوجيهُ كل فرد إلى ممارسة عمل منتج في حدود قدراته، ومساعدتُه في الحصول على عمل ما، إضافة إلى استثمار الموارد على النحو الأفضل: الراعي في المرعى، والفلاح في الحقل، والتاجر في المتجر، والعامل في المعمل، والمرأة في المنزل، وإكساب الجماهير ثقافة الاقتصاد الرشيد، ومكافحة الهدر والإسراف.

خامساً - بناء الشخصية اجتماعياً وأخلاقياً: ينبغي القيام بحملات توعية وفق خطط مدروسة، تهدف إلى ترسيخ روح التكافل والتضامن في السرّاء والضرّاء، ومن الضروري جداً تشكيل لجان محلية للتعامل مع المشكلات الاجتماعية، وينبغي أن يمتاز أفرادها بالحكمة والخبرة، ومن الضروري أيضاً ترسيخ القيم

الأخلاقية الرفيعة (الصدق، الاستقامة، الإخلاص، العفّة، التراحم، إلخ)، ومكافحة الأمراض الاجتماعية، وخاصة عند الجيل الشاب، إن كل إنجاز في مجال القيم سيكون عظيم الأهمية من المنظور الاستراتيجي.

ساستنا المحترمين، أمتنا تعيش حالة استثنائية، إنها صاحبة مشروع تحرّري، وهذا يعني أنه تقع على كواهلكم مهمّات استثنائية، وفي مقدّمتها إعادة بناء الشخصية الكردية القويمة، إن شعباً ينخر الفقر والجهل والتخلف كيانَه، وتطارده ثقافة العبودية، وتنهشه نزعات التهرّب والتخاذل والانتهازية والعمالة والخيانة، وتفترسه مشاريع الصهر والمسخ، لا يمكن أن يكون شعباً مهيَّأً لإنجاز مشروع تحرّري معقَّد كمشروعنا القومي، وبما أنكم- يا ساستنا المحترمين- ندبتم أنفسكم لقيادة الأمة، فدعوني أقل لكم مخلِصاً:

الشعارات والنشرات والبيانات والاجتماعات والتحالفات وحدها غير قادرة على تحقيق النصر في هذه المعركة الشاملة، قال هانس هاينز: " **ينبغي على المرء أن ينطلق من الإنسان قبل كل شيء**" (هانس هاينز هولتز: أحاديث مع جورج لوكاتش ص 44)، وهذا ما ينبغي أن نفعله جميعاً، ليكن الإنسان الكردي هو البداية، دعونا نساعده على التحرر من ثقافة الخنوع والتبعية، ونُحيي فيه روح الكردايتي المتوهّجة.

عندئذ يستقيم كل شيء، وعندئذ نربح معركة التحرير.

وإلى اللقاء في الوصية الثامنة.

2012 - 7 – 30

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية الثامنة
أوجدوا القوّة القوميّة الرّادعة!

معرفة الحقائق خطوة أساسية لنجاح الأفراد والأمم، ومن الحقائق التي أثبتها العلم- على الأقل منذ عهد العالم البريطاني تشارلز داروين- هو أن كل شيء حيّ يخضع لقانون (الانتخاب الطبيعي)، وأن البقاء هو في النهاية للأصلح أيْ للأقوى، وكل كائن حيّ لا يمتلك القوة اللازمة للفوز في هذه المعركة الوجودية الكبرى والشاملة، ينتهي به الأمر إلى الزوال عاجلاً أو آجلاً.

أربع حقائق تاريخية:

تلك هي الحقيقة الوجودية الكبرى، وتتفرع عنها أربع حقائق أخرى بالغة الأهمية:

الحقيقة الأولى: كانت الجغرافيا- بدلالتها البيئية والاقتصادية والجيوسياسية- موضوعاً للصراع بين الشعوب منذ فجر التاريخ، كان كل شعب يسعى إلى امتلاك الجغرافيا الفضلى، ومن أجل ذلك انطلقت الغزوات ونشأت الإمبراطوريات، وكانت القوة هي العامل الذي حسم الصراع لهذا الفريق أو ذاك.

الحقيقة الثانية: لا يزال الصراع على الجغرافيا مستمراً بين الشعوب، فها هي شعوبٌ تستعمر شعوباً أخرى، وها هي دولٌ تتسابق للسيطرة على القطبين الشمالي والجنوبي وعلى أعماق البحار وعلى الفضاء، وما زالت القوة الخشنة (العسكرية) والقوة الناعمة (الأيديولوجية)- حسب تعرف هيرفريد مونكلر في كتابه (الإمبراطوريات، ص 103)، هي العامل الأهمّ في حسم الصراع.

الحقيقة الثالثة: منذ حوالي سنة (2000 ق.م) كان غربي آسيا- من إيران ضمناً إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط- مسرحاً للصراع على الجغرافيا، سواء بين شعوب المنطقة نفسها (أكاديين، أسلاف الكرد، بابليين، آشوريين، حِثّيين، آراميين، كَنعانيين، عبرانيين، كِلدان، فُرس، عرب)، أم بين الشعوب الغازية من الخارج (مصريين، يونان، رومان، روم، مغول، تَتار، ترك، فرنج، استعمار أوربي)، ومرة أخرى كانت القوة بشكليها (الخشنة/الناعمة) هي العامل الأكثر فاعلية في حسم الصراع لهذا أو ذاك.

الحقيقة الرابعة: تتوسط كردستان منطقة غربي آسيا، وكان كل غازٍ يودّ العبور إلى أيّة جهة في غربي آسيا، مضطراً- من الناحية الجيوسياسية- إلى فرض سلطته على كردستان، وإلا فإن مشروعه الغَزَوي كان يبقى ناقصاً، وفي التاريخ أدلة كثيرة على ذلك، وإن بقاء كردستان إلى الآن محتلة ومنقسمة بين أربع دول هو من آثار الصراع المحموم على الجغرافيا.

والخلاصة أن القوة- بمختلف أشكالها ومستوياتها- هي العامل الحاسم في امتلاك الجغرافيا، وأن بقاء كردستان محتلة يعني افتقار الكرد إلى القوة الكافية لحماية وطنهم، ولا يمكنهم تحرير وطنهم القومي إلا بامتلاك القوة الشاملة. وثمة عاملان آخران مهمّان، يجعلان حاجة الكرد إلى القوة الشاملة ماسّة جداً:

أولاً- نوعية محتلّي كردستان: إن المحتل الأوربي في القرنين (19، 20) احتل جغرافيا الشعوب لأغراض ثلاثة: استغلال الموارد الاقتصادية (زراعة، معادن، بترول)، واستغلال الموارد البشرية (موظفين صغار، عمال، جنود)، واستغلال الموقع الجيوسياسي، إنهم كانوا روّاد الحضارة، وأقاموا في البلاد المستعمَرة بنى تحتية للتنمية، ولم يقضوا على لغاتها وثقافاتها، ولما ثارت عليهم الشعوب المستعمَرة، وقف

بعض برلمانييهم وشعبهم إلى جانب الشعوب المستعمَرة ضد حكوماتهم، وشكّلوا عامل ضغط مهماً، ولم ير المستعمِر بدّاً من الخروج، وترك الوطن لأهله.

أما محتلّو كردستان فهم أكثر من مستعمِرين، إنهم يمارسون الاحتلال الاستيطاني بأبشع أشكاله؛ ويجرّدون الشعب من حقه في وطنه، وينهبون الموارد، ويحوّلون الشعب إلى أقنان، ويقضون على الثقافات القومية، ويخططون لصهر الشعوب وإبادتها، إضافة إلى الإفقار والتجهيل والبطش والإذلال، إنهم ينحدرون من سلالات شوفينية متوحّشة، لا يهمّهم سفك دماء شعوبهم ولا سفك دماء الشعوب الأخرى، المهمّ هو تنفيذ مشاريعهم الاستيطانية، والأخطر من هذا أنهم رسّخوا في شعوبهم ذهنية الغزو، وربّوهم على ثقافة إنكار الآخر، وأصبح القسم الأكبر من شعوبهم مثلهم، تعالوا نتساءل: كم من الفرس والترك والمستعربين وقفوا ضد مشاريع البطش والتشريد والصهر التي نفّذتها أنظمتهم الفاشية ضد الكرد؟

ثانياً- طبيعة النظام الدولي: ما تزال (القوة) هي الأساس الذي يقوم عليه النظام الدولي المعاصر، وليس (الحق)، وإن (المصالح) هي التي تتحكّم في السياسات العالمية وليس (المبادئ)، وإن ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان تبدو إلى الآن عاجزة عن تصحيح هذه المعادلة، وتقديم (الحق) على (القوة)، وتغليب (المبادئ) على (المصالح)، لاحظوا أن الدول الخمس التي تحتكر حق النقض (فيتو) في مجلس الأمن (أمريكا، إنكلترا، فرنسا، روسيا، الصين) هي الدول التي تمتلك أكبر كمّ من القوة المدمّرة، وليس سويسرا ولا السويد، وهناك عشرات الأمثلة على دور القوة والمصالح في التعامل مع مشكلات الشعوب، وإلا فما معنى أن يقف النظام الدولي المعاصر ضد حق الكرد في إقامة دولتهم المستقلة على ترابهم الوطني؟ وما معنى أن يصنّف حزب العمّال الكردستاني المدافع الوطن الكردي في خانة (الإرهاب)؟

ضرورة القوة القومية الشاملة:

إن جميع ما سبق لا يدع مجالاً للشك في أن امتلاك (القوة) هو الطريق إلى امتلاك (الحق)، ولا فائدة مطلقاً من ذرف الدموع على أعتاب الشوفينيين والقوى الكبرى المهيمنة على العالم، قال السياسي الإيطالي نِقولا مكيافللي: " **أثبتت الأيام أن الأنبياء المسلّحين قد احتلوا وانتصروا، بينما فشل الأنبياء غير المسلّحين**" (نيقولا مكيافللي: الأمير، ص 82)، تلك هي الحقيقة، بقدر ما تكون قوياً تكون صاحب حق، وتكون مبجَّلاً عند الآخرين، وفي أربعينيات القرن الماضي كان كردي اسمه (رَشُو) يدور في قرى الكرد شمال شرقي حلب، ويردّد "**Zor zane, devî tifangê mor zane**"، كانوا يصفونه بالمجنون، أما أنا فأقول: مرحى لك يا عمّنا رَشو! لقد كنت أحكم الحكماء!

أجل، طوال القرن العشرين قدّمت أمتنا قوافل الشهداء، وصرخت نساؤنا بحُرقة (هاوار! هاوار!) آلاف المرات، وذرفن سيولاً من الدموع، ووصل صراخ أطفالنا إلى عنان السماء، لم يرحمنا الغزاة قطّ، هربنا إلى الكهوف فأضرموا فيها النيران وسدّوها علينا، لجأنا إلى الجبال فاقتلعونا منها وشرّدونا في البراري، ساقونا كالحيوانات وطمرونا في الرمال، أعلنوا علينا حروب الإبادة، دكّوا قرانا بطائراتهم، رشّونا بسلاحهم الكيماوي، فعل بنا الشوفينيون كل ذلك ليس فقط بأسلحة قادة القوى الكبرى، بل بخبرائهم وصمتهم ورياءهم وخداعهم أيضاً، أولئك وهؤلاء فعلوا بنا ذلك لأننا كنا نفتقر إلى (القوة)، ولا شيء غير ذلك، وإليكم- يا ساستنا المحترمين- بعض الآليات التي أظن أنها تمنحنا القوة الرادعة.

أولاً- أسّسوا المرجعية القومية العليا: ساستنا المحترمين! لا أشك مطلقاً في إخلاصكم القومي، وأقدّر جهودكم القيّمة في إطار مشروعنا التحرري، ولذلك أقول لكم مُخلِصاً: حذارِ من التمترس في الخندق الحزبي، انتقلوا إلى الخندق القومي، وحّدوا الأحزاب في كل جزء من كردستان ضمن جبهة قومية، ثم انتخبوا (هيئة قيادية مشتركة) في كل جزء، ثم لتقم الهيئات القيادية الأربع بتشكيل هيئة قيادية عليا باسم (المجلس

الكردستاني الأعلى)- أو بأي اسم آخر- كي يقوم بدور (المرجعية القومية العليا) داخلياً وخارجياً، رؤية وموقفاً وقراراً، وهذا هو الركن الأول من أركان القوة الرادعة.

ثانياً- احشدوا طاقات الجماهير: أقول لكم بصدق، وبناءً على مراجعتي لتاريخ شعبنا، وبعيداً عن الغرور والاستعلاء: إن في شعبنا طاقات هائلة، إنه يتميّز بالطيبة والذكاء والحيوية والإخلاص والإقدام والفداء، صحيح أن الاحتلالات أحدثت في شخصيته بعض الاختراقات والتشوّهات، لكن كتلته الأساسية ما زالت صلبة، أجل، إن جبال زاغروس وآگري وطوروس، لم تندثر تحت ضربات المحتلين، ما زالت قممها شامخة، تعتنق إشراقة شمس آهورامزدا كلَّ صباح، وكذلك هو شعبنا، ولو لم يكن كذلك هل كان قادراً على إشعال الثورات واحدةً تلو أخرى منذ بدايات القرن التاسع عشر؟ إن ما تحتاجونه- يا ساستنا المحترمين- هو توحيد شعبنا تحت قيادة عليا، وإعادة ترميم شخصيته، وحشْد طاقاته، وتوظيفها بحكمة في معركة التحرير، وهذا هو الركن الثاني من أركان القوة الرادعة.

ثالثاً- أوجدوا قوة قتالية قومية: محتلّو وطننا شوفينيون مختلّون، إنهم يرفعون أنبل الشعارات ويقومون بأنذل الممارسات، هم غير قادرين على فهم قول المسيح **"مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا"** (إنجيل متّى، أصحاح 5، آية 39)، إنهم لا يفهمون إلا لغة القوة الباطشة، لاحظوا كيف فرّ أحد جبابرتهم إلى الجُحر عندما رفعت أمريكا عصاها الغليظة في وجهه؟ لذا من الضروري أن يكون لكل جزء من كردستان قوة قتالية مستعدّة لردع المحتلين، ومن الخطأ أن يُلقي أبطالنا في الشمال والشرق السلاح حسبما يريد المحتلون، ومن الخطأ أن يثق شعبنا في الجنوب بالتحالفات السياسية فقط، يقول موريس روبان:" **يجب إظهار القوة، حتى لا تكون هناك حاجة إلى استخدامها**" (موريس روبان: تاريخ الأفكار السياسية المقارن، ص 44)، أجل، ينبغي أن يرى المحتلون رأس العصا من تحت عباءتنا، وإلا فلن يرتدعوا، وهذا هو الركن الثالث من أركان القوة الرادعة.

رابعاً- أكثروا من صناعة الأصدقاء: أفلح المحتلون طوال قرون في عزلنا عن العالم، وفي تصويرنا على أننا شعب همجي، يمارس اللصوصية وقطع الطرق والبطش بالرحّالة والجيران المسيحيين، أما هم فأقاموا الصداقات على امتداد العالم، واستعانوا بأسلحة أصدقائهم وبخبرائهم ونفوذهم السياسي للفتك بنا، لذا من الضروري أن نغيّر هذه المعادلة، علينا أن نبني الصداقات إقليمياً وعالمياً، ونفضح توحّش المحتلين ونذالاتهم، وقد أفلحنا إلى حدّ ما في هذا المجال، لكن ما زال الشوط طويلاً، ولا يكفي أن نصبّ تركيزنا على العلاقات الرسمية مع الأحزاب والدول فقط، علينا أن نوسّع الدائرة، ونبني الصداقات مع الشعوب، ولا تقع هذه المهمّة على كواهل ساستنا فقط، وإنما من واجب كل كردي أن يكون سفيراً لأمته حيث كان، ويبني علاقات طيبة مع الآخرين، ويكسب ودّهم، وهذا هو الركن الرابع من أركان القوة الرادعة.

خامساً- أوجدوا إعلاماً قومياً فاعلاً: لا يكفي أن نجلس بين أربعة جدران، ونتحدّث إلى أنفسنا، وننددب حظّنا، نحن بحاجة إلى إعلام قومي نشيط وذكي وفاعل وشامل، يقودها متخصصون أكفاء، يمتازون بقدر كبير من الثقافة، وبرؤية قومية رحيبة، وبحس قومي أصيل، لاحظوا- يا ساستنا المحترمين- كيف يوظّف الشوفينيون آلتهم الإعلامية الهائلة لخدمة مشاريعهم الاحتلالية، إنه يحوّلون نذالاتهم إلى قداسات، ويصنعون من الفِسيخ (سمك متعفّن) شَرْبات كما يقول المثل المصري، وفي الوقت نفسه يشيطنون كل ما يتعلق بحقوقنا في وطننا وهويتنا ومستقبلنا.

من الخطأ- يا ساستنا المحترمين- التقوقع في الإعلام الحزبي، أو الانجراف مع تيار الإعلام الساذج والهابط، إننا أمة تمرّ بحالة استثنائية، ونحن أصحاب مشروع قومي تحرري، وفي هذا المستوى ينبغي أن يكون إعلامنا القومي شكلاً ومضموناً وأداءً، ينبغي أن يوظَّف إعلامُنا داخلياً لتعميم المعرفة الصائبة، وربط الأجيال بالتراث القومي، وترسيخ القيم النبيلة والأصيلة في شعبنا، وتطوير الحس القومي المشترك، وتكوين الرؤية القومية المشتركة، وتهيئة العقول والقلوب لاتخاذ الموقف الواحد والقرار الواحد. وينبغي أن يوظَّف

خارجياً لتعريف العالم بشعبنا وتراثنا وبحقنا في وطننا ومستقبلنا، ولكسْب الأصدقاء لنا على الصعيدين الإقليمي والعالمي، وهذا هو الركن الخامس من أركان القوة الرادعة.

ساستنا المحترمين، لا أود الإطالة أكثر، لكن اسمحوا لي أخيراً أن أضع ما قاله الفيلسوف البريطاني جون ستوارت ميل أمامكم، فقد قال: **"إن المَثل القائل بأن الحقيقة تنتصر دائماً على الاضطهاد، هو واحد من الأكاذيب المُفرحة التي يكرّرها الناس مرّة تلو أخرى، حتى تتحوّل إلى ملاحظة بليدة، ... التاريخ يَعجّ بالأمثلة عن الحقائق التي قمعها الاضطهاد"** (جون ستوارت ميل: عن الحرية، ص 48).

واسمحوا لي- يا ساستنا المحترمين- أن أضع بين أيديكم أيضاً قول الثوري الفرنسي ميرابو: **"ما دام هناك مجتمع من الأغنام، فلا بد أن تحكمه حكومة من الذئاب"**، وكي لا يظل وطننا محتلاً، وأمتُنا مقموعة، وكرامتُنا مهدورةً، وكي لا يبقى شعبنا قطيعاً من الغنم تغزوه الذئاب من كل جانب، وكي لا نرمي بأحفادنا إلى الأبد بين أيدي أصحاب الذهنيات الشوفينية المتوحّشة، لا بدّ من أن تكون لنا أوراق الضغط الخاصة بنا، وأقوى ورقة ضغط هي تطبيق فلسفة العم (رَشو): **"Zor zane, devî tifangê mor zane"**، أجل، إنها امتلاك (القوة القومية الرادعة).

وإلى اللقاء في الوصية التاسعة.

2012 - 8 – 1

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية التاسعة

أحيُوا نهجَنا القيادي الآري! وحذار من صناعة الطاغية!

قائد الأمة هو كالرأس للجسد، والقادة الذين أحدثوا تحوّلات جوهرية في أحوال أممهم هم عباقرة، يمتلكون ميزات (الإنسان المتفوّق)، إنهم طلائع الأمّة، يعيشون همومها، ويجسّدون هويتها وقيمها، وليس هذا فحسب، بل يمتلكون أيضاً إرادة الانتقال بالأمّة نحو الأفضل، ويتميّزون بكفاءات تمكّنهم من تحويل الإرادات والأفكار والخطط إلى إنجازات وحقائق وحياة، إنهم صنّاع التاريخ الحقيقيون.

ورغم حذري الشديد من إطلاق الأحكام، أجدني مضطراً إلى القول بأن مسألة القيادة (Serokatî) هي أكثر المسائل تعقيداً في كُردستان على الإطلاق، إنها أصبحت - في معظم مراحل تاريخنا- مشكلة جرّت على الأمّة الكُردية من الكوارث ما لم تجرّها عليها أيّة مشكلة أخرى، ولا أُصدر هذا الحكم بدافع المَرارة من الحال الغريبة التي تعانيها أمّتنا منذ 25 قرناً، وإنما أؤسّسه على حقائق مؤكّدة في تاريخنا، ولعلي لا أبالغ إذا قلت: إن أمّتنا- في كثير من محطّات تاريخها- كانت ضحيّة عُقدة الـ (Serokatî)، فما هي عوامل نشأة هذه العُقدة؟ وكيف السبيل إلى تجاوزها؟

لماذا نشأت عُقدة الـ (Serokatî)؟

يبدو لنا أن نشأة عُقدة الـ (Serokatî) في المجتمع الكُردي ترجع إلى العوامل الثلاثة التالية:

أولاً- الذهنية السياسية الآرية: يتألف التكوين الكُردي من اندماج الأسلاف الزاغروسيين والآريين، وقد تسلّم الآريون القيادة منذ حوالي سنة (2000 ق.م)، ووضعوا الأسس السياسية والثقافية للأمة الكُردية، وكان الميديون آخر فرع آري عمّم الثقافة الآرية في مجتمعات أسلاف الكُرد بين سنتي (650 – 550 ق.م)، ومن الحقائق المؤكَّدة أن الذهنية السياسية الآرية تنفر من السلطة المركزية، وترفض الحكم الفردي المطلق، إنها ذهنية تغلب عليها (ديمقراطية النخبة)، وقد تجلّى ذلك بوضوح في مجالي الدين والسياسة، باعتبارهما وجهين لحقيقة واحدة هي (السلطة).

في مجال الدين لم تتمحور المنظومات العقدية الآرية حول إله أحَدي (لا شريك له)، وإنما ثمة إله أكبر هو الأعظم مقاماً، وإلى جانبه نُخَب يشاركونه في إدارة الكون، ويحملون لقب (إله)، وهذا واضح في الزردشتية، فالإله الأكبر هو **أهُورامَزْدا**، وثمة آلهة آخرون (فَرافاشي) منهم **رامان هڤاسترا** إله السلام، و**سراوش** إله الطاعة، و**آشي** إلهة القدَر والسعادة، و**راشنو** إله النظام والعدالة (أفستا، ياسنا، هايتي 1، ص 4، 43، 44)، وكذلك الأمر في دين الإغريق، فالإله **زيوس** Zeus كبير الآلهة، يشاركه آلهة آخرون في إدارة الكون، ويدعوهم **زيوس** إلى الاجتماع بين حين وآخر، منهم **بورياس** Poreas إله الريح، و**پوسيدون** Poseidôn إله البحر، و**أفروديت** Aphrodite إلهة الحب، و**أثينا** Athênê إلهة الحكمة (ول ديورانت: قصة الحضارة، 322/6، 323. جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 66.)

وفي مجال السياسة لم تقم في المجتمعات الآرية القديمة سلطة مركزية مطلقة، وإنما كانت توجد اتحادات قبائل، تقودها مجالس قبَلية تضم زعماء القبائل، وكان هؤلاء ينتخبون كل مرّة واحداً منهم على أساس الكفاءة، ليكون القائد الأعلى بسلطات مقيَّدة، كي لا يتحوّل إلى (الزعيم الأوحد) المطلق السلطات، وكانت القرارات تُتّخذ بشكل جماعي في المجلس القبَلي الأعلى، ونعتقد أن اسم هذا المجلس ما زال باقياً بدلالاته السياسية في كلمة (Congress)، ونعتقد أنها إحدى صيغ العبارة الآرية القديمة (Con gir)، والتي تُكتب بالكردية (Kon gir) مع ملاحظة خصوصية صوتية (ك) بالكردية هنا، وهي تعني (خيمة القادة/خيمة كبار القوم)، ولعل لخيمة المجلس القبلي بقايا في لفظة (Confederation) أيضاً.

ذلك هو النهج السياسي الآري الأصيل في ممارسة السلطة، وكان متّبَعاً عند اليونان القدماء أيضاً، ثم أخذ به الرومان، باعتبارهم تلامذة الثقافة اليونانية، وقد عاد الأوربيون والأمريكان إلى الأخذ به في العصر الحديث بعد أن ثاروا على مبدأ **"أنا الملك، أنا الدولة"** الذي رفعه الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، ولم يشذّ عن النهج السياسي الآري سوى ملوك الفرس الذين ركبتهم شهوة الغزو، وتأثّروا بذهنية (الطاغية) في النصف الجنوبي من ميزوپوتاميا؛ ذاك الطاغية الذي كان يستمدّ سلطته من الآلهة، وليس من ممثلي الشعب، وما زالت تلك الذهنية قائمة إلى الآن في شخص (مرشد الجمهورية) في إيران.

وتتجلى الذهنية السياسية الآرية في تاريخ أسلافنا بأدق صورها، لقد كان أسلافنا الگوتيون (جُوتي/جُودي) يختارون قادتهم لفترات محدَّدة على أساس القدرة والكفاءة، وبعد سيطرتهم على سهول ميزوپوتاميا موطن الحكم المطلق، اقتبسوا منها لقب (مَلك) شكلاً، وظلت صيغة (Kon Gir) هي المعمول بها، إنهم كانوا ينتخبون ملوكهم لفترة لا تتجاوز في المتوسط ستة أعوام، والملك الوحيد الذي جُدّد له ثلاث مرات- لظروف استثنائية- هو يارلاگاب أو (بارلاگاب)، وجعلوا كل فترة له (5) سنوات فقط، (دياكونوف: ميديا، ص 111 - 112)، إن أسلافنا الگوتيين هم أصحاب أقدم نظام (ديمقراطية النخب) في تاريخ الشرق الأوسط.

وكذلك كان النظام السياسي عند أسلافنا الميتانيين والميديين، وقد أسهب المؤرخ اليوناني **هيرودوت** في وصف الطريقة التي تحوّل بها القائد القبَلي الميدي **دَياكو** (دَهْياكو) إلى ملك يرأس مجلساً قَبلياً أعلى يضمّ القبائل الميدية الستّ، وقد اختاره قادة القبائل (ملكاً) على أساس الكفاءة والقدرات المميَّزة، وليس على أساس النَّسَب، وما كان دياكو ينفرد باتخاذ القرارات، وإنما كان يستشير المجلس القبَلي الأعلى (هيرودوت: تاريخ

هيرودوت، ص 77 – 80)، ثم تلاه ابنه **فراوُرْت** ثم حفيده **كَيْ خَسْرو** في ممارسة القيادة بهذا النهج، وبفضل ذلك وحّدوا الميديين، وتحرروا من إمبراطورية آشور.

ثانياً - <u>السيكولوجيا الكُردية</u>: الكردي- من حيث التكوين البيئي- هو ابن الجبل، والجبل هو مفتاح الشخصية الكردية، كما أن سيكولوجيا الجبال متأصّلة في الشخصية الكردية، ومن مظاهرها غلبة ضيق الأفق، وهو ضيق أفق ممزوج بالعناد الشديد، كما أن سيكولوجيا الجبال ساهمت في خلق النزعة الفردية المتطرفة، وعدم الرضا بالانضواء تحت سلطة (الآخر)، حتى إن الكُردي ليعتبر نفسه دولة عظمى، وأقصى ما يقدّمه من تنازلات في هذا المجال هو الانضواء تحت لواء قيادة القبيلة.

ثالثاً – <u>سلسلة الاحتلالات في كُردستان</u>: إن بقاء الكُرد طوال 25 قرناً تحت الاحتلالات، أحدث اختراقات في الشخصية الكُردية وفي الذهنية السياسية الكردية، وزرَع ثقافة التبعية في الإنسان الكردي، وجرّده من بعض قيمه الأصيلة، وأفرغ ذاكرته من الموروث القومي، حتى إنّ الأغلبية الساحقة من الكرد في يومنا هذا لا تعرف شيئاً عن الدول والممالك التي أقامها أسلافنا، ولا تعرف شيئاً عن التقاليد السياسية التي كانت متّبَعة عند أسلافنا، كان الكردي يفتح عينيه على الحياة قرناً بعد قرن فيجد أنه تحت سلطة (شاهٍ، ملك، إمبراطور، خليفة، سلطان) فارسي، أو إغريقي، أو روماني، أو رومي، أو عربي، أو تركي، وترسّخ فيه لاشعورياً أن الكردي لا يمكن أن سيّداً، ومن الطبيعي أن يكون مَسُوداً وتابعاً.

الانفلات السَّروكاتي وإشكالية الطاغية:

هذه العوامل الثلاثة (الذهنية السياسية/ سيكولوجيا الجبال/ الاحتلالات) تفاعلت وأنتجت عُقدة الـ (Serokatî) الكُردية، فالكردي لا ينضوي بسهولة تحت قيادة كردي آخر، ويرى أنه أوْلى بأن يكون الـ (Serok)، وعلى ضوء هذه العُقدة يمكن تفسير الانشطارات الكردية العجيبة، وتفسير حالات العمالة والخيانة والانسلاخ المصاحبة للثورات الكردية، ودافعُها الحقيقي هو أن عدداً غير قليل من الكرد يفضّلون (السيّد الأجنبي) على (السيّد الكردي)، وأصبحت عُقدة الـ (Serokatî) تغزو كلَّ مجال تبدو فيه الحاجة إلى توحيد الكرد تحت قيادة أو هيئة أو مجلس، ونظن أنه لو اقتُرح تنظيم ماسحي الأحذية في كردستان- وما أكثرهم ببركة المحتلين!- تحت قيادة واحدة لحصلت الانشقاقات بدافع عُقدة الـ (Serokatî).

وتعلمون- ساستنا المحترمين- أن مشكلتنا الأساسية منذ 25 قرناً ليست طبقية ولا دينية ولا مذهبية ولا مناطقية، مشكلتنا الأساسية هي الدفاع عن (وجودنا)، إن خرّيجي ثقافات الغزو والاحتلال- بمختلف انتماءاتهم الدينية والفكرية والسياسية- يحاربون وجودنا كشعب له خصوصيته القومية، ويرفضون الإقرار بأن لنا وطناً اسمه (كردستان)، وأجمل هدية نقدّمها لهم هي أن نتخندق حزبياً على أسس طبقية أو دينية أو مذهبية أو مناطقية، والمؤسف أن هذا التخندق قائم الآن لكن مع تفاوت في المستويات، ولذلك لا يرى خرّيجو ثقافات الغزو والاحتلال حرجاً في اختراق صفوفنا، والاستهانةِ بنا هَمْزاً ولَمْزاً، والضربِ على رؤوسنا بين حين وآخر تحذيراً وتهديداً.

ساستنا المحترمين، إن الضرورة التاريخية تقتضي أن ننطلق من عقيدة (الدفاع عن الوجود)، وإلا فإننا نحفر قبر أمّتنا بأيدينا، أو إننا - في أحسن الأحوال- نضع أسساً لإمارات ودويلات كردية متنازعة، سرعان ما ستتهدّم أمام التحدّيات وهي كثيرة، ولنا عِبرةٌ في الدويلات الكردية التي انهارت خلال القرن (11 م) أمام الغزو السلْجوقي، لذا حذارِ أن نقدّم الدفاع عن (الحزب) وعن الـ (سروك) على الدفاع عن (الوجود القومي)، إذا فعلنا ذلك- وللأسف نحن الآن نفعل ذلك إلى حدّ ما- نكون كقبائل لويزيانا البدائية، **"كانوا إذا أرادوا نَيل ثمرةٍ قطعوا الشجرة من أسفلها، وقطفوا الثمرة"** حسبما ذكر مونْتِسْكِيو في (روح الشرائع، ص 91).

إن عقيدة الدفاع عن (الوجود القومي) تتطلب منا (التخندق قومياً)، والتخندق قومياً يتطلّب وجود (قيادة) واحدة ضابطة حازمة، ويتطلّب وجود (قائد) واحد يرأس هذه القيادة ويمثّلها، وقد مرّ قبل قليل أن الذهنية

الكردية تنفر من السلطة المركزية ومن الخضوع لـ (طاغية/مستبدّ)، خاصة إذا كان الطاغية كردياً، ومرّ أن هذه النزعة تفاعلت مع ما أحدثته الاحتلالات وثقافة التبعية من اختراقات في الشخصية الكردية، وأوجدت في مجتمعنا ظاهرة (الانفلات السَّرُوكاتي)، أجل، إن معظم نُخبنا يريدون أن يكونوا (سَروكاً)، وهذا يذكّرني بالمَثَل العربي القديم "**الإمارة، ولو على الحجارة**"! فكيف نجد الحل لهذه المعادلة الصعبة:

- ضرورة وجود (قيادة) ضابطة حازمة، و(قائد) واحد، لإيقاف الانفلات الذي ابتُلينا.

- وضرورة عدم السماح بتحوّل (القائد) إلى (طاغية)؟

ساستنا المحترمين، دعونا نستفد من تاريخ أسلافنا، فطوال تاريخنا كان القائد الذي يأخذ بنهج (Kon Gir) القيادي في السلطة هو الأقدر على توحيد الأمّة، وعلى إقامة تكوين سياسي (دولة، مملكة، سلطنة)، وبقدر ما كان يتجاهل نهج (Kon Gir) القيادي، ويصبح (طاغية)، كان يُلحق الأضرار بالأمّة، ويكون السبب في انهيار الدولة، إن الملك الميدي الأخير **أستياگ بن كَيْ خَسْرو** همّش نُخَب الميد في سنوات حكمه الأخيرة، وأصبح (طاغية)، فماذا كانت النتيجة؟ تآمر عليه النُّخب مع الملك الفارسي كورش الثاني، ولم يروا حرجاً في أن تقع مملكة ميديا في قبضة الفرس سنة (550 ق.م)، وإن تهميش نُخَب الكرد من قِبل السلاطين الأيوبيين المتأخرين، وخاصة **السلطان الصالح نجم الدين أيّوب**، كان أيضاً من أهم أسباب سقوط السلطنة في أيدي مماليكهم الأتراك سنة (1250 م).

على ضوء هذه الحقائق التاريخية- وغيرُها كثير- نرى أن أفضل وسيلة للقضاء على ظاهرة (الانفلات السَّروكاتي)، وقطع الطريق على ظهور (طاغية) كردي، هو الأخذ بالنهج السياسي الذي اتّبعه الحكماء من أسلافنا قبل أوربا وأمريكا؛ نهج (Kon Gir)، نهج (المجلس القبَلي الأعلى)، لكن بتحويله إلى (مجلس قومي أعلى Kon Gel)، وينبغي أن يبدأ تأسيس هذا المجلس من القاعدة الجماهيرية، فتنتخب كلُّ قرية ومدينة أعضاء (المجلس القومي المحلي)، ويختار كلُّ مجلس محلّي ممثله في (المجلس القومي المِنطَقي)، ثم تختار مجالس المناطق ممثليها في (المجلس القومي الإقليمي)، ثم يختار كل مجلس إقليمي ممثليه في (المجلس القومي الأعلى)، ثم يختار (المجلس القومي الأعلى) قائداً أعلى للأمّة الكردية لمدة يتمّ الاتفاق عليها، مع إمكانية التجديد له مرة واحدة أو أكثر بحسب الظروف، ومع وجود ضوابط وقواعد تضمن اتخاذ القرارات على نحو مشترَك، وتضمن عدم تحوّل (القائد) إلى (طاغية).

ساستنا المحترمين، ما أروع هذا الإنجاز إذا تحقق! وأصدقكم القول بأنه الطريق الوحيد إلى بقائنا كأمّة، والطريق الوحيد إلى تحرير وطننا، وقد يبدو هذا المقترَح صعب المنال، وأقول: إنه لكذلك، لكن دعونا نتذكر أن الصعب غيرُ المستحيل، وعندما تتوافر الإرادة القومية الصلبة، ويعززها الوعيُ القومي المتقدّم والشامل، والعملُ القومي الجادّ والمخلِص، يتحوّل الصعب إلى واقع مُنجَز.

ساستنا المحترمين، دعونا نتذكّرْ أننا بصدد إعادة بناء أمة تمهيداً لتحريرها، في وضع إقليمي معادٍ لنا، وفي وضع عالمي متجاهل لنا، وينبغي أن نبدأ من الآن، إن كل يوم نتأخر فيه عن إعادة بناء الشخصية القومية، وإعادة تأسيس الوعي القومي المشترَك، وإعادة تكوين الرؤية القومية المشترَكة، والتخطيط لإنجاز العمل القومي المشترَك، يعني ضمناً أننا لا نؤجّل فقط حلَّ مشكلتنا الأساسية (إنقاذ وجودنا القومي)، وإنما يعني أيضاً أننا نساعد المحتلين على الاستمرار في الاستهانة بنا والاستمرار في استعبادنا وتشويه إنسانيتنا.

فهل أنتم راضون بذلك؟

وإلى اللقاء في الوصية العاشرة.

3 – 8 - 2012

د. أحمد محمود الخليل
dralkhalil@hotmail.com

عشر وصايا لساسة الكرد

الوصية العاشرة والأخيرة

أوقفوا نهج الهزيمة.. وحذار من حكم التاريخ!

الأمّة الأكثر هزيمة في التاريخ ليست هي التي احتل الغرباء أرضها، واستعمروا شعبها، وغيّبوا تراثها وتاريخها، وإنما هي الأمّة التي هُزمت روحياً، فرضيت بثقافة صاغها المحتلون، وبذاكرة كوّنها المحتلون، وبمرجعية فرضها المحتلون. وليس عجيباً أن تسقط الأمم في قبضة الاحتلال، لكن العجيب ألا تنهض، والضامن الوحيد لنهوضها هو إعادة بناء شخصيتها القومية، وإعادة تكوين ذاكرتها القومية، وإعادة صياغة وعيها القومي، وإعادة تأسيس مرجعيتها القومية، فماذا عن أمّتنا نحن الكُرد؟

الكُرد والحالة الأهْريمانية:

أول ما ينبغي الإقرار به هو أننا أمّة تعيش حالة هزيمة مستمرة منذ 25 قرناً، وصحيح أننا ما عَدِمنا في كل مرحلة وجودَ نُخب أصيلة وشجاعة وغيورة، اغتسلت ضمائرهم بأشعة شمس أهورامزدا، وشمخت إراداتهم كقمم جبال كردستان، فثاروا، وقاتلوا، وسقطوا في ميادين المعارك بشرف، ووقفوا تحت أعواد المشانق بكبرياء، لكن روح الهزيمة المهيمنة على غالبية شعبنا كانت تفتك بهم- عبر التجاهل والتخاذل والعمالة والخيانة- قبل أن يفتك بهم المحتلون.

أجل، نحن نعيش حالة أهريمانية؛ وإلا فما معنى أن يكون جيراننا الفُرس أتباعاً لنا، ثم يؤسّسوا إمبراطورية، وهم الآن يحتلون رُبع بلادنا؟ وما معنى أن يؤسّس جيراننا العرب إمبراطورية، ويرث منهم المستعربون الآن احتلال رُبع بلادنا؟ وما معنى أن يأتي التُرك البُداة من وسط آسيا قبل ألف عام فقط، ويؤسّسوا إمبراطورية، ويحتلوا الآن نصف بلادنا؟ وما معنى أن يكون جيراننا الأرمن- مع قلّة عددهم- أصحاب دولة تحفظ كرامتهم، ونبقى نحن- مع كثرتنا- كالأيتام على مآدب اللئام؛ هذا يُحقّرنا ويهدّدنا، وذاك يجردّنا من الجنسية، وآخر يَطمرنا أحياء في الرمال ويُبيدنا بالكيماوي كالحشرات؟ أيّة هزيمة أخطر من هذه الهزيمة؟ وأيّة حالة أهريمانية أكبر كارثية من هذه الحالة؟

إن أكثر ما يهمّ المحتلين هو أن يظل وطننا مُلكاً لهم، كي يستكملوا صهْرنا، ويوظّفوا مواردنا لخدمة أنظمتهم، لقد اعتادوا أن نمسح أحذيتهم، ونكنس شوارعهم، ونعمل في مطاعمهم وفنادقهم، ونقف حجّاباً على أبوابهم، ونكون موظّفين في مؤسساتهم ومقاتلين في جيوشهم، وأحياناً يكبحون جماح شوفينيتهم، ويسمحون بأن يكون بعضنا مدراء ووزراء ورؤساء للوزراء وهياكل رؤساء جمهورية، إنهم يقدّمون لنا هذه (الرُّشى)، ليخدّروا وعينا القومي، ويصرفونا عن قضيتنا الأساسية، وقد أفلحوا في ذلك.

إن ما يهمّ المحتلين هو أن نتخلّى عن (القومية الكُردية) وعن (كُردستان)، إنهم ضدّ وجودنا كأمّة على ترابنا القومي/الوطني، لأنهم يدركون- بقرون الاستشعار الغَزَوية- أن نشأة (دولة كُردستان) يعني ضمناً أن دولهم التي أنتجتها مؤامرة سايكس- بيكو ستتحوّل إلى أقزام، ويصبح مستقبلها في مهبّ الريح، ويدركون أيضاً- بقرون الاستشعار الشوفينية- أن دولتنا ستمتلك جميع مقوّمات الازدهار والقوة (عقول، ثروة زراعية، ثروة حيوانية، مياه، معادن، نفط، موقع استراتيجي)، سنكون منافسين لهم ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً وحضارياً، وستعرفنا شعوب العالم على حقيقتنا، وليس كما صوّرونا (همج، قُطّاع طرق، متعصبون دينياً)، وستقيم علاقات إستراتيجية معنا.

تلك هي مشكلتنا الأساسية مع الشوفينيين فرساً وتركاً ومستعربين، إنهم ضد وجودنا القومي كأمّة، وضد وجود (دولة كُردستان)، وفي هذه الدائرة بالذات تدور معركتنا معهم، وكان من المفترَض أن ينتقل ساستنا برؤيتهم وبرامجهم السياسية إلى هذه الدائرة، وأن ينتقلوا بشعبنا وعياً وأخلاقاً وسياسةً وإعلاماً واقتصاداً إلى هذه الدائرة، ودعونا نستعرْ من الفلسفة الأمريكية البراغماتية مقولة **"العقلُ هو ما يُؤدَّى"**- أي المعيار هو الإنجاز- ونحوّلها إلى صيغة **"السياسة هي ما تُؤدَّى"**، ونتساءل: ما هي إنجازاتنا القومية؟

المؤسف أن الإنجازات محدودة، وفي بعض المجالات هزيلة، ولا ترتقي إلى الدائرة التي تدور فيها معركتنا الأساسية ضد أنظمة الاحتلال، إن معظم أحزابنا بدأت كفاحها برفع شعار (تحرير كردستان)، ثم تراجعت إلى (الحكم الذاتي)، ثم تنازل بعضها عن كلمة (حكم) المتضمِّنة دلالة (سلطة)، وأحلّت محلّها عبارة (إدارة) الحيادية اللطيفة، أي أننا نترك (الحكم/السلطة) للمحتل، ونكتفي بإدارة شعبنا تحت سلطته، والمؤسف أكثر أن هذا يتمّ في أكبر أجزاء كردستان مساحة وسكاناً، وكان المنطق القومي يقتضي أن يكون هذا الجزء قد حرّر نفسه، وشرع في مساعدة الأجزاء الأخرى على التحرر.

في الجنوب فزنا بالفيدرالية على هامش الصراع السُنّي/الشيعي، لكن سرعان ما اكتشفنا أننا نقف على خط زلزالي عائم فوق (كورديا الشمالية) و(كورديا الجنوبية)، قياساً على (كوريا الشمالية/كوريا الجنوبية). وفي الغرب، ما إن تنفّسنا الصُّعَداء- على هامش الصراع السُنّي/العلوي- حتى اكتشفنا أننا نقف على خط زلزالي عائم فوق احتمالات انقسام شعبنا بين أكثر من (إمارة)، في حين أسرع فريق ثالث إلى وضع بيض الكرد في سلّة (المعارضة السورية) حبيبة (العثمانية الجديدة) وربيبتها.

أما في الشمال والشرق فالأمور أكثر تعقيداً: في الشمال يوجد الخط الزلزالي العائم على تناقضات (سُنّي/علوي) وتباينات (كُرمانج/زازا)، وبسببه دفعنا الثمن غالياً في ثورات النصف الأول من القرن العشرين. وفي الشرق هناك الخطّ الزلزالي العائم على تناقضات (سُنّي/شيعي) وتباينات (كُرمانج/گوران/لُر)، والأخطر من هذا وذاك أن شعبنا يُساق الآن رويداً رويداً- بسبب الاشتباك بين المشاريع الإقليمية، وتشرذم صفوفنا- نحو خطّ زلزالي عائم على تناقضات (الصفوية الجديدة) و(العثمانية الجديدة)، وهذا الخطر كفيل في حدّ ذاته بأن يُخرجنا من القرن الواحد والعشرين أيضاً بدون دولة.

وعدا هذا، هل من الصواب- بحسب المنطق القومي- أن يحمل كل مرة قلّةٌ من شعبنا- لا يتجاوز عددهم واحد من عشرة آلاف- السلاحَ، ويعتصموا بالجبال، ويقارعوا العدوّ المحتل، ويفقدوا زهرة شبابهم، ويستمر هذا الاستنزاف البشري جيلاً بعد جيل، وتبقى الغالبية الساحقة من شعبنا خارج معركة التحرير إلا بالكلام غير المُجدي، وأخجل من أن أسمّيه (ثرثرة)؟ كم هي نسبة توظيف مثقّفينا وثقافتنا في معركة التحرير بمعناها الحقيقي على مستوى كردستان؟ كم هي نسبة توظيف اقتصادنا في معركة التحرير؟ كم هي نسبة توظيف إعلامنا في معركة التحرير؟ إنها لا تتجاوز واحد من مئة، فكيف يمكننا تحرير وطن بأكمله من قبضة شوفينيين شرسين وماكرين بهذه الجهود القليلة الهزيلة؟

ثم هناك أمر آخر مخيف ومثير للغضب حقاً، انظروا، ها هي ذي شعوب شرق أوسطية تثور كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، أُمّيين ومثقفين، على حكّامها، وتبذل الأموال والدموع والدماء، وهي تفعل ذلك ليس لأنها مستعمَرة، ولا لأن أرضها محتلّة، وإنما لمجرد أنها أدركت أن حكّامها- وهم منها- احتكروا السلطة والثروة، فمن كان أولى بالثورة الشاملة؟ شعبُنا المستعمَر، المحتلّة أرضُه، المنتهَكة كرامتُه، أم تلك الشعوب؟ لماذا تمتلك تلك الشعوب إرادة الثورة الشاملة والتضحية التي لا حدود لها، ونكتفي نحن كل مرة بدفع بعض شبابنا وشاباتنا إلى حمل السلاح وممارسة (الثورة المعزولة) في الجبال؟ أليست هذه الظاهرة في حدّ ذاتها مَدعاة إلى الحزن العميق؟ أليست دليلاً على أننا نعيش حالة أهريمانية كارثية؟

في محكمة التاريخ:

ما كنت أرغب في أن أكون الغراب الذي يحمل أخبار النَّكد، لكن ماذا أفعل؟ إنني بين خيارين: إما أن أجامل وأساهم في تخدير وعي شعبنا، وإما أن أصف واقعنا القومي كما هو، وها أنتم ترون كم هي اللوحة قاتمة! وإذا كان عملي هذا يجرّ عليّ الحَنَق والغضب، فلا أعتقد أنني خاسر أمام محكمة التاريخ، وإذا لم تجد كلماتي أذناً صاغية من ساسة شعبنا- وهذا ما لا أتمنّاه- أكون على الأقل قد برّأت ذمّتي أمام أجيالنا القادمة، ولعل بعضهم- ولا أدري من أيّة (كوردیا) أو إمارة يكون- يقول بعد نصف قرن: "كان هناك من يقول الحقيقة"، وقد يتحمّس ويضع نِرگزة على قبري في يوم ربيعي.

ساستنا المحترمين، لعلكم تقولون: ألم تذكر أن السياسة هي فنّ الممكن؟ ألم تحذّرنا من اللاواقعية في السياسة؟ ألم تذكر أننا نتعامل مع شوفينيين متوحّشين مَكَرة، وأننا في عالم تتحكّم فيه قوى كبرى لا تفهم إلا لغة (المصالح)؟ فهل تريدنا أن نقيم (كردستان مستقلة) بكبسة زرّ؟ ألسنا محكومين بالظروف الداخلية والإقليمية والعالمية؟ أليس من الواقعية السياسية أن نستثمر الفرص المتاحة، ونحقق المكاسب لأمتنا؛ سواء أكانت (فيدرالية)، أم (حكماً ذاتياً)، أم (إدارة ذاتية)، أم (حقوقاً ثقافية)؟

حقاً، ما دامت الانشطارات السياسية والثقافية تمزّق أمتنا، وما دامت حركاتنا السياسية منشغلة بالمشاريع الحزبية، أكثر من انشغالها بالمشروع القومي، وما دامت مهتمة بتحشيد الجماهير في خانة الولاء لهذا السروك أو ذاك، أكثر من اهتمامها بتحشيد الجماهير تحت راية الولاء للأمة، وما دمنا نعيش فوق خطوط زلزالية عائمة على التباينات والتناقضات، فليس أمامنا سوى التمترس خلف حكمة **"ليس في الإمكان أحسن ممّا كان"**، وسيكون من الغباء تفويت الفرص المتاحة، وعدم اقتناص المكاسب التي يضطر المحتلون إلى إفلاتها من قبضتهم، حتى إن كانت في شكل (حقوق ثقافية).

لكن دعونا نتساءل: هل تقتصر السياسة على التعامل مع الواقع القائم؟ وهل على الساسة أن يبقوا أسرى الظروف القائمة؟ أليس من أولى مهمّات الساسة أن يهيّئوا شعبهم- ثقافياً وأخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً- لخلْق ظروف جديدة ولفرْض واقع جديد؟ وإلا فكيف استطاع جورج واشنطن ورفاقه خلْق دولة اسمها الولايات المتحدة الأمريكية من مستعمَرات إنكليزية متباينة إثنياً وثقافياً؟ وكيف استطاع بِسْمارك إنشاء دولة ألمانيا من 38 حكومة ألمانية متباينة؟ وكيف استطاع غاندي تحرير الهند من الإنكليز؟ وكيف استطاع أتاتورك خلْق (دولة تركيا) من حُطام الدولة العثمانية؟

ساستنا المحترمين، بقدر ما يعرف المرء يتألّم، وبقدر ما يتألّم يتكلم، وإنني مضطرّ إلى أن أقرع الأجراس لكم ولجميع شعبنا، وآمل أن يكون صبركم عليّ طويلاً، واسمحوا لي بأن أقول: إن مركبنا القومي يسير في الاتجاه الخاطئ، إن ربابنته يهتدون بالبوصلات الحزبية، وأحياناً بالبوصلات الأيديولوجية، أكثر من اهتدائهم بالبوصلة القومية، بل يبدو لي- وهذا أكثر ما يخيفني- أنّ أنظمة الاحتلال استغلّت تباياناتنا وتناقضاتنا وافتقارنا إلى مرجعية قومية واحدة، وإلى مشروع قومي موحَّد، فاختطفت مركبنا القومي، وشرعت توجّهه بالريموت كونترول نحو الاتجاه الخاطئ، وبعيداً عن المشروع القومي الأكبر؛ ألا وهو تحرير كُردستان، وإقامة دولة كردستان المستقلة.

ورغم أن لوحتنا القومية تغلب عليها القتامة، ورغم أننا ما زلنا في خانة الهزيمة الأهريمانية من المنظور القومي التاريخي، أقول بكل ثقة: إن مجرّد إصرار شعبنا على أنهم (كُرد)، وعلى أن له وطناً ممزّقاً اسمه (كُردستان)، لهو دليل صريح على أننا لم نخسر كل شيء، وعلى أن المحتلين خابوا في تحقيق هدفهم الأكبر؛ ألا وهو صهْرُنا وإفقادُنا الوعيَ بهويتنا القومية، إن هذا الوعي القومي العفوي والبسيط الذي ما زال راسخاً في شخصية الكُرد- لُرّاً (فيلي) وصُوراناً وگُوراناً وزازا وكُرمانجاً- لهو قاعدة صلبة، ينبغي أن نبادر إلى تأسيس مشروعنا القومي الشامل عليها من غير تأخير.

تلك هي فرصتكم التاريخية- يا ساستنا المحترمين- فحذار من تفويتها! وتلك هي مسؤوليتكم التاريخية، ولا تنسوا أن "**المسؤولية ثمنُ العَظمة**" كما قال تشرشل، فحذار من الانشغال عنها بالأجندات الحزبية! لست من دعاة الفوضى، ولا ممن يجهل دور التنظيمات والقادة في السير بالشعوب نحو الحرية، لكن الضرورة القومية تقتضي أن نتجاوز كل حزب يعتقل جزءاً من شعبنا في أجندته الخاصة، ونتجاوز كل سروك يُشغلنا بأجندته الشخصية، لا وقت للمجاملة ولا لإضاعة الوقت، إن مشكلاتنا الموروثة كثيرة ومعقّدة، وتنضاف إليها الآن مشكلات أخرى أكثر تعقيداً، فالمشاريع الإقليمية تستهدفنا من جانب، والعولمة تفترسنا ثقافياً وقِيَمياً من جانب آخر، فعلينا أن نُدرك شعبنا، وعلى كل حزب وسروك أن يُخضع رؤيته السياسية لمراجعة جوهرية شاملة، ويعيد تأسيسها وفق المشروع التحرري القومي الشامل.

ساستنا المحترمين، إن تحقيق سبعة إنجازات سيكون مؤشّراً على أنكم انتقلتم- عملياً- من الخندق الحزبي إلى الخندق القومي، وأنكم وظّفتم ما هو حزبي خاصّ لمصلحة ما هو قومي عامّ، وهي التالية:

1 – انتظام أحزاب كل جزء من كردستان ضمن جبهة قومية واحدة.

2 – عقد المؤتمر القومي وتأسيس المرجعية القومية العليا(Kon Gel).

3 - تعميم الوعي القومي المتجاوز للتباينات المناطقية والدينية والمذهبية.

4 – توحيد اللغة الرسمية نطقاً وكتابةً في جميع المجالات.

5 – توظيف الثقافة الكردستانية لخدمة مشروع التحرير بوتيرة عالية جداً.

6 – توظيف الإعلام الكردستاني لخدمة مشروع التحرير بوتيرة عالية جداً.

7 – توظيف الاقتصاد الكردستاني لخدمة مشروع التحرير بوتيرة عالية جداً.

بهذه الإنجازات تصنعون لأمتكم تاريخاً مشرقاً ومبجَّلاً، وتتخلّدون في ذاكرة أحفادنا جيلاً بعد جيل، إنهم سيتعلمون منكم دروس التكاتف وتجاوز النرجسيات الشخصية والحزبية والدينية والمذهبية، سيقولون بفخر وشموخ: "انظروا! هكذا فعل أجدادنا الحكماء! إنهم توحّدوا بعد فرقة! وحوّلوا الهزيمة إلى نصر! وانتقلوا بنا من ظلامية أهريمان إلى إشراقات أهورامزدا، ووضعوا أسس صرح الأمة بعد 25 قرناً". وإلا فإن محكمة التاريخ تنتظرنا جميعاً ساسةً ومثقفين، وإن حكم التاريخ علينا سيكون قاسياً وقاسياً جداً.

فانظروا ماذا أنتم فاعلون؟

توضيح من الكاتب:

الأخوات والإخوة، كنت قد نشرت 3 حلقات من هذا السلسلة بالكردية (الكُرمانجية)، والنيّة قائمة على استكمال نشر الحلقات الباقية، وإذا وجدتم فيها فائدة لأمتنا، فحبّذا التفضل بما يلي:

1 – إرسالها إلى السادة ساسة الكرد، لأني لا أعرف إيميلات كثيرين منهم.

2 - ترجمة الحلقات إلى الكردية (الصورانية) والفارسية والتركية، ونشرها ليطّلع عليها أكبر عدد من شعبنا، وهذا جزء من رسالتنا القومية في تعميم الوعي، وأكون شاكراً إذا أُحطْت علماً بذلك.

وإلى لقاء في ميدان آخر من ميادين فكرنا القومي.

2012 – 8 – 8